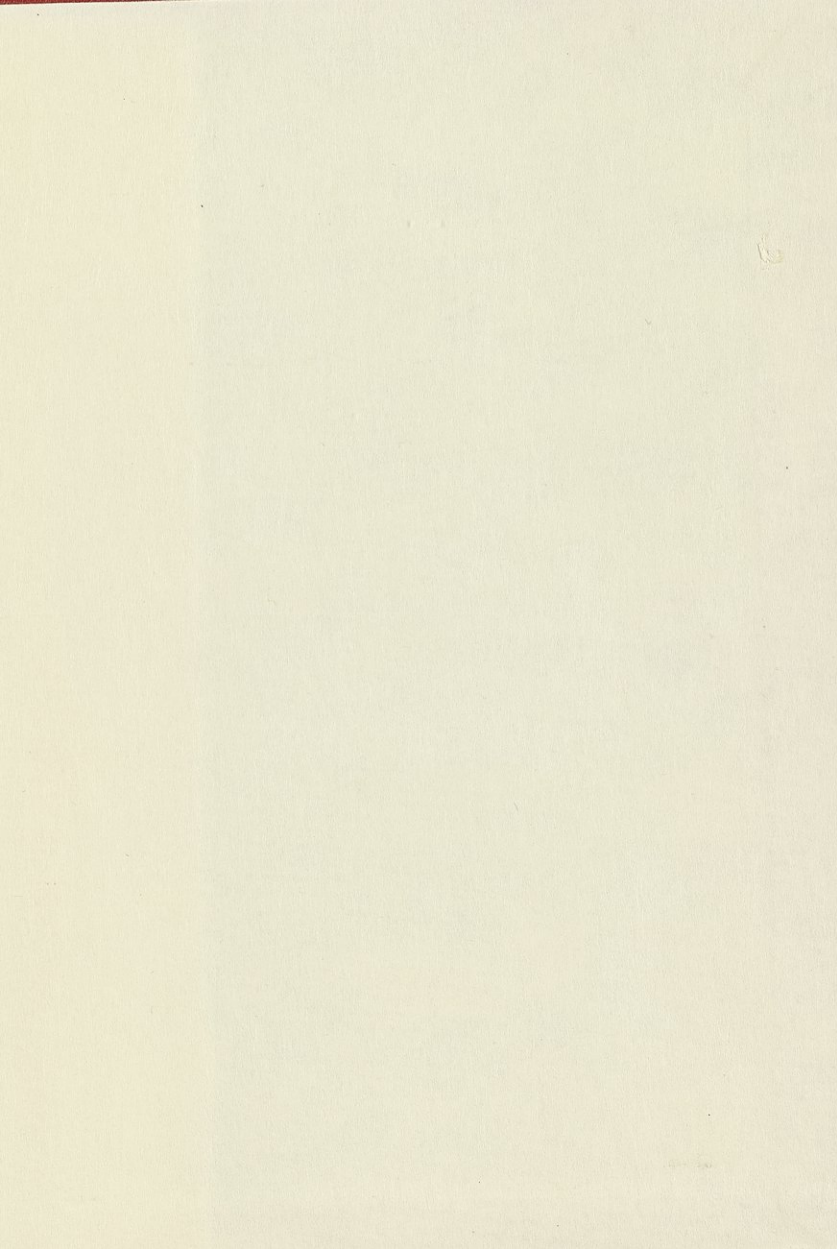






Princeton University Library



32101 064950767

Princeton University Library

This book is due on the latest date
stamped below. Please return or re-
new by this date.

--	--



حديث الشهر

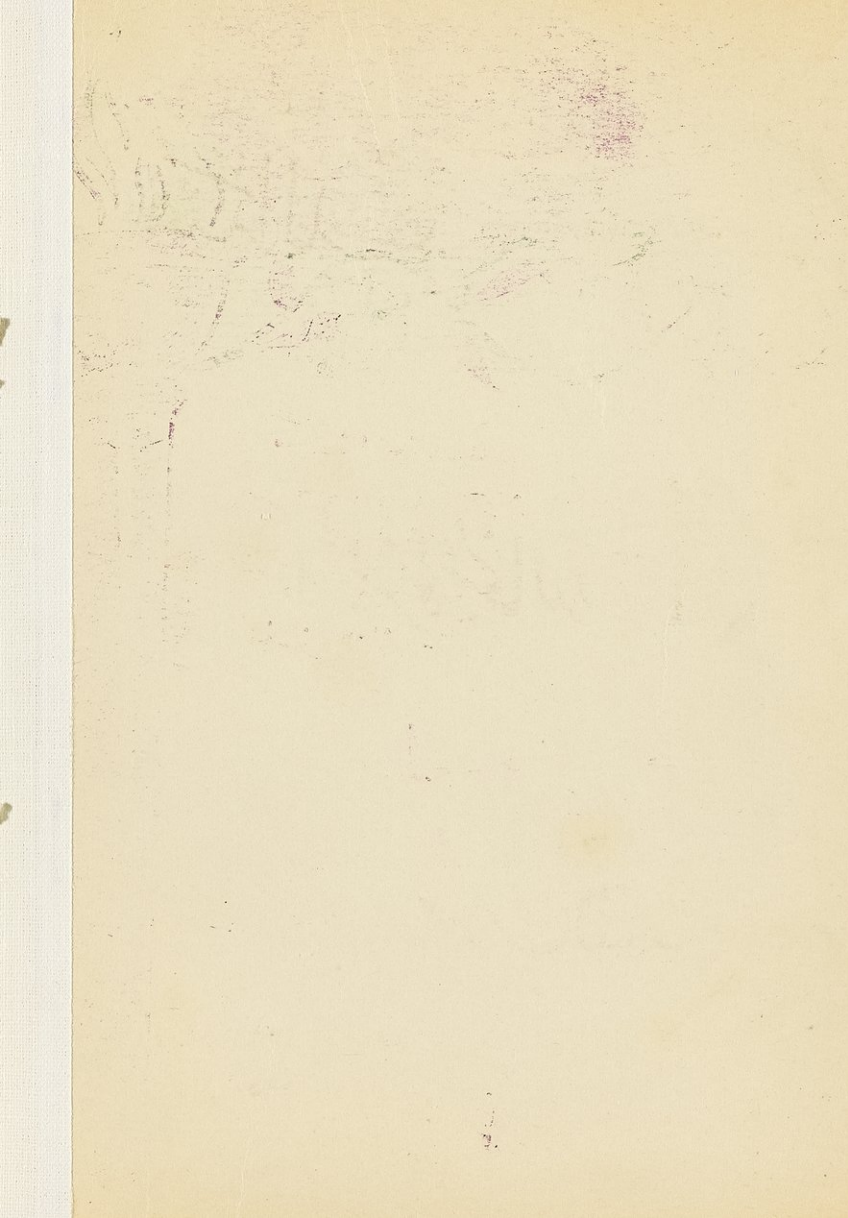


سماعة الحجة السيد

هَبْشَالَدِين

الحسيني « الشهرستاني »

المعجزة الخالدة



Shahrastānī

سماعة الحجة السيد

هَبْرُ الدِّينِ

الحسيني « الشهرستاني »

المعجزة الخالدة

حديث الشهر - ٨ -

رمضان ١٣٦٩

حزيران ١٩٥٠

(RECAP)

(~~ANNEX A~~)

BP130

حديث الشهر

7

5237

سلسلة كتب شهرية تقدم في مطلع كل شهر كتاباً

صدر منها

- | | |
|----------------------------|---------------------|
| الشيخ عبدالله العلي | ١- مثلن الأعلى |
| الدكتور مصطفى جواد | خديجة أم المؤمنين |
| الاستاذ جرجس كنعان | ٢- أبو جعفر النقيب |
| الدكتور محمد يحيى الهاشمي | ٣- دعبل الخزاعي |
| الاستاذ توفيق المكي | ٤- الامام الصادق |
| الاستاذ عبد الهادي المختار | ملهم الكيمياء |
| الاستاذ محمد زكي بيضون | ٥- سكينه بنت الحسين |
| | ٦- رسالة الحقوق |
| | الامام زين العابدين |
| | ٧- أم سامية |

فهرس

تمهيد	٥
المحاضرة الاولى : مجمل من مفصل ، ماهي المعجزة ولماذا	٧
معجزات النبي	٨
اعجاز القرآن ، ميزة القرآن بين المعجزات	٩
التحليل والتعليل	١٢
المحاضرة الثانية : هل تحدى الرسول بالقرآن	١٧
المحاضرة الثالثة : منزلة القرآن لدى البلغاء	٢٠
المحاضرة الرابعة : اقرار عظماء الافرنج بعظمة القرآن	٢٦
المحاضرة الخامسة : تشريح مزايا القرآن	٣٢
المحاضرة السادسة : وجوه الاعجاز على المحك	٣٦
المحاضرة السابعة : النظريات السبع للعلماء في وجوه الاعجاز	٤٤
الجمعة الاولى : الامية	٤٥
الاعجاز والامية	٤٦
الجمعة الثانية : البلاغة في القرآن ومزاياه السامية	٥١
آيتان على منضدة التشريح	٥٤
الجمعة الثالثة : الاعجاز وغرابة الاسلوب	٦٢
الجمعة الرابعة : الاعجاز وانباء الغيب	٧٠
انواع المنغيات	٧٢
اضافات على الانباء الغيبية	٧٥

- ٨٠ هل الغيب بالنسبة الى الخالق او الى الخلائق
- ٨٢ الجهة الخامسة : الجذبات الروحية منشأ اعجاز القرآن
- ٨٣ سر الجذبات الروحية في آي القرآن
- ٨٧ ما هو كهرباء القلوب عامة : ملحق دفاعي عن الاعجاز القرآني
- ٩١ الجهة السادسة : الجامعة واعجاز القرآن
- ٩٢ خاتمة المحاضرة السابعة : الصرفة من النظريات السبعة
- ٩٤ المحاضرة الثامنة : مهرض المعارضات القرآنية
- ٩٥ نموذج من منشآت مسيلية
- ٩٦ نموذج من كلام سباج المتنبية
- ٩٧ نموذج من كلام اسود العنسي
- ٩٨ خلاصة الحركات من الاوائل والواخر
- ١٠٠ نموذج من كلام الباب علي محمد الشيرازي
- ١٠٣ تعاقب على الباب و«وحيه»
- ١٠٨ نموذج من كلام البهاء
- ١٠٤ نموذج من «وحي» القادياني
- ١٠٩ الى من التحاكم في تفوق القرآن
- ١١٣ المحاضرة التاسعة من افتتاح سور بحروف مقطعة
- ١١٤ الجواب الشارح لرموز اوائل السور
- ١٢٠ تمة الشواهد على ما ادعينا
- ١٢٣ تعليق على ملاحظات الكشاف
- ١٢٤ المحاضرة العاشرة المتشابهات القرآنية خزنة المعجزات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عهيد

بعد الحمد والصلاة . لا يجدن الباحث المتحري مهما بالغ
في التحري اثرأ لبشر حرياً بسمه البقاء والابو ، مطبوعاً عليه
بطابع الاعجاز والخلود غير القرآن الحكيم . فهذه توارينخ
البشر الاذ كياء من انبياء وحكماء وابطال ومصلحين ونوابغ
مفكرين ، ممن ملأوا اجواء العالم المتمدن باثارهم المادية والمعنوية
تراهم لم يخلقوا شيئاً محسوساً صالحاً لأن يوصف بالاعجاز
والخلود معاً . فلا أعمال بقيت ولا عامل بياق - سوى النبي
المصطفى رسول الابدية ونبي الرحمة العالمية العامة (ص) . هنا
لا بد للقارئ الكريم ان يتساءل عن هذا السر المستسر
وتعليل هذه الحقيقة الغامضة قائلاً كيف اختص القرآن وحده
من بين آلاف الآثار وملايين الاعمال بصفة الاعجاز ونعت
الخلود ولماذا؟! وكيف اختص النبي العربي بمثل هذا الامر

الممتاز ولماذا؟! نعم ان هذا الكتاب الذي تراه بين يديك
أيها القارئ العزيز هو الذي يتعهد كشف هذه الاسرار
المنشودة، ويتكفل اقناع العقول بصحة هذه الدعوى المبنية
على اوضح الشواهد اذا اعطيت التأمل حقه في جملة جملة
فجملة . والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل .

هَبْشَالَدِين

محمل من مفصل كمرآة لما هو آت

ماهى المعجزة وماذا

المعجزة عبقرية فى اعمال النبي متى سطع نورها على
ابصار الناظرين أورت فىهم دهشة تسوقهم الى الاذعان .

وان معجزاً ينعت بهذا النعت الجليل لحري بان يسمى
آية النبوات أو سلاح الانبياء وان يعده العامة علامة بين
الخالق والخلقة يعرف بها النبي من المتنبى .

ولماذا اضطر الله انبياءه وسفراءه الى استعمال هذا السلاح سلاح

الاعجاز وآية العبقرية السماوية، فلا يتلى تاريخ نبى الا وتلى
معه مدهشات العجائب والغرائب اجل، تلك ضرورة لا مناص
منها للرسول المصالحين فانهم دعاة القلوب الى جهاد الهوى
ومستخدمو النفوس ضد الشهوات، ومستحيل (والله) اخضاع
الطباع ضد الشهوات والعادات بغير قوة قاهرة وبدون سلاح
نافذ . وأية قوة قاهرة أو سلاح نافذ الأثر لدعاة الخير ورسول
السلام امضى من عبقريتهم الباهرة التي تدع العقول فى ذهول
وتسوقها الى الاذعان والقبول فتؤمن حياة مبادئهم السامية

بأبر الوسائل والوسائل .

معجزات النبي

لا تخفى ان سيدنا محمداً (ص) آية الله ومعجزته ، اذ كل مخلوق لله آيته ومعجزته وكل كائنة صغرى أو كبرى آية الله ومعجزة للبشر . وقد قال (توماس اديسون) المخترع الشهير (للفرونوغراف) - الخاكي - وغيرها (لفورد) ان ظفري قد سقط اليوم ولا يستطيع اهل الارض ان يصنعوا مثله تماماً ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ولكن الله يصنع لي مثله بعد شهر) فالحقيقة بأسرها آية الله الظاهرة ومعجزته الباهرة .

اما إذا عدت افعال سيدنا محمد (ص) أو أشباه محمد آيات ومعجزات فهناك الفخر والاثار . اذ هو بالرغم من كل غلو فيه، بشر، وابن بشر فإليه ان يفوق البشر من ذاته وبذاته كلا ثم كلا . فلا يوجد في الوهم قياس منطقي يرجح انساناً على الملايين من قبيله لولا عناية من الخالق بشأنه ولكن النبي محمد (ص) فاق الانام في خلقه المدهش ، في شرعه المدهش ، في قرآنه المدهش !!

معجزات القرآن

ادهش القرآن بلاريب نوابغ العرب واخرى شقشقة
البغاة في عصره !. الأسلوبه الرائق ولفظه الريق ونظمه
المعجب ؟ ام لبدايع معانيه الجذابة وعظمة مباديه ولطائف
امثال فيه ؟ لانعلم . . وانما نعلم انه ادهش ويدهش العربي
العارف وربما كان اثره في العامة بالاولى وانه في الخاصة بالاخري .
وبانبيائه الغيبية وباسرار في اشاراته واشعاراته ؟ . اجل - ذا
القرآن مدهش من أي وجه كان . وآية عبقريته ساطعة . .
وقد استعان به منقذ العرب بعد ما غدوا سكارى بخمرته فاحيي
ذكورهم واصليح اسرهم وادبهم كما شاء وشاءت المصلحة
واستخرجهم من ظلمة العادات القاسية الى ضياء عيشة راضية ،
ثم استخدم اولئك المهتمدين بانوار القرآن كألسنة لدعوة
الامم وسيوف لادانة العالم .

ميزة القرآن بين المعجزات

للقرآن ميزات كثيرة لايسع المقام تعدادها مهما بالغنا في
الاختصار غير ان اكبر ميزة فيه (وهي التي وضعت فوق

المعجزات كلها) هي انها مجموعة فصول ليست سوى صياغة
احرف عربية من جنس كلمات العرب بل ومن ايسر اعمال
البشر وقد فاقت مع ذلك عبقرية، ولم يخلق رب الانسان
للانسان عملاً بعد الافتكار ايسر لديه من الكلام . وكلام
كان العمل البشري ايسر صدوراً واكثر وجوداً قل النبوغ
فيه وصعب افتراض الاعجاز والاعجاب منه، غير ان الفصول
القرآنية على انها صياغة احرف العرب ومن جنس ايسر اعمالهم
تجد العبقرية فيها ظاهرة باجلى المظاهر السامية على عبقرية
كل شاعر وساحر وتراهما على اعظم جانب من التأثير مع انها
كما اشار اليها القرآن عبارة عن : ا . ل . م . ك . هـ . ي .
ع . ص . الخ هي الاحرف العربية المبذولة ولكن تأليف
امثال آية منها فوق وسع العرب والعجم .

يقال والقول صحيح (الناس كالناس والايام واحدة)
فاصدق محك لمعرفة أحوال الاولين هو مطالعة احوال
الاخرين وقياس الماضي على الحال .

هذا ونرى الناس في عهدنا مطبوعين على استعجاب
الشهرة والاثرة وطلب التفاضل والتفاخر فاذا رأوا احدهم

يبغي التفوق عليهم بصناعته اندفعوا بكل قواهم الى مباراته
وجدوا لكي يأثروا بخير منه ولا سيما اذا اطمأنوا من نفعه وقد
فطر البشر على مثل هذا الشعور ليتكامل رقيه الادبي وينال
به التفوق الصناعي والمدني (سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة
الله تبديلا) والشعب العربي المعاصر للنبي (ص) كان ولا ريب
منطويا على هذا الشعور تماما فلماذا لم يندفع الى مباراة القرآن
ولا سيما بعدما شاهدوا من صناعة هذا النبي فائدة وعائدة؟!
ولم لم يعارضوا عبقريته في البلاغة وهو فرد وهم الوف؟
العدم وجود أساتذة فيهم لهذه الصناعة؟ كلا فقد كانت
قربة الحجاز خصبة منبئة لاساتذة الفصاحة والبلاغة، وكانت
مكة حضيرة اربابها ومناخ ركابها فلم لم يندفعوا الى معارضته
بالمثل وهو المعارض لهم بكل ما يستطيع من قوة؟ ولماذا
اندفعوا الى مقاتلته دون مقابلته، والى مقابلته بالاسنة بدل
الالاسنة وبالحراب بدل السكتاب حتى افرغوا كنانتهم برمي
آخر نبلة فيها ولم ينجحوا، ولماذا اندهشت عباقرتهم من ملوك
النثر والنظم حتى ضيعوا على اثرها عقليتهم فضاعت بذلك
بصاعتهم. ليت شعري مم وبم اعجزت عبقرية ذلك الفرد

المستضعف فيهم وهم الوف ومعتزون بالوف وكيف اعجزتهم
اسطر و كلمات وحروف .

التحليل والتحليل

حري بنا ان نحلل هذه الدهشة الغريبة واسبابها الحقيقية
ونقيس انفسنا (ونحن في القرن العشرين) على اولئك
الاساتذة (وان كانوا في القرون الاولى) قياساً حسب ذلك
المقياس القائل (الناس كالناس والايام واحدة) فاذا اعم الاعجاب
بالقرآن اساتذة عصرنا الراقي فلانلوم المعجبين بالقرآن في القرون
الاولى . وقد رأينا استاذ البلاغة في جامعة الامريكان البيروتية
(جبر ضومط) في كتابه (الخواطر الحسان) يكثر الاعجاب
من آيات القرآن وبلاغتها . وقد تمثل بآية : (وجاء من
اقصى المدينة رجل يسعى) ١٩ : ٢٦ فتصور للتلفظ بها صوراً اربعاً
ثم ارتأى انها باسرها لا تبلغ مبلغ الموجود في القرآن من
حسن السبك وبلاغة المعنى . وهكذا الدكتور شبلي شميل :
معجب بعبقريّة القرآن في مواضع من مقالاته المنشورة ويقول
في قصيدته المشهورة :

دع من محمد في صدى قرآنه ما قد نحاه لاحمة الغايات

اني وان أك قد كفرت بدينه

هل اكفرت بمحكم الآيات

ومواعظ لو أنهم عملوا بها ما قيدوا العمران بالعادات
« الى قوله : »

نعم المدبر والحكيم وأنه رب الفصاحة مصطفى الكلمات
رجل الحجارة رجل السياسة والنهى

بطل حليف النصر في الغارات

ببلاغة القرآن قد خلب النهى

وبسيفه أنحى على الهامات

من دونه الا بطل في كل الورى

من غائب أو حاضر أو آت

وقد قال الدكتور شبلي شميل ناثراً بعد أن قال ناظماً

ما نصه : إن في القرآن أصولاً اجتماعية عامة وفيها من

المرونة ما يجعلها صالحة للأخذ بها في كل زمان ومكان حتى

في أمر النساء فانه كفهن بأن يكن محجوبات عن الريب

والفواحش وأوجب على الرجل أن يتزوج واحدة عند عدم

امكان العدل وان القرآن قد فتح أمام البشر أبواب العمل

في الدنيا والآخرة بعد أن أغلق غيره من الأديان تلك
الابواب . . الخ

وقد أوصى أبو ابراهيم ناصيف اليازجي ولده لتنمية
ثقافته المالية قائلاً « اذا شئت ان تفوق أقرانك في العلم
والادب وصناعة الانشاء فعمليك بحفظ القرآن ونهج
البلاغة » .

ولو استقصينا أقوال نوابغ العصر حول اعجابهم من
القرآن على اختلاف مللهم ونحلهم أمثال « كارليل » و « ولز »
و « صال » الانجليز و « تولستوي » الروسي و « مونتيه »
الفرنسوي وغيرهم لتألف منها كتاب وكاد البحث يحيد بنا
عن الموضوع ، موضوع تحليل دهشة الاولين الذين قهرتهم
عبقرية النبي (ص) الأبي وقرآنه فأعود قائلاً :

اذا قام بيننا البناء والحداد ينضمان القريض الجيد اعجبنا
حسن القصيدة من جهة وأعجبنا تفوقهما على النظم من جهة
أخرى لأنهما عاميان أريان لم يأخذنا من الدراسة والكتابة
حظاً فمحمد الأبي المخاطب بآية « وما كنت تتلو من قبله
من كتاب ولا تحطه بيمينك » ٢٩ ، ٤٧ ريب البادية

وخرج حي بني سعد ينهض في أم القرى بدعوة نسخ
 الانظمة وتعديل الشرايع واصلاح العالم . هذه من جهة ومن
 جهة أخرى انه أفنى قواه في معارضة أقوام سفلة وكابد
 الاذى والاسى من الافواه والايدي وقضى حياته في
 ادارة الحروب والمغازي وهو ما بين هذه وتلك يأتي بكتاب
 يعجز عن مباراته بلغاء عصره ونوابغ دهره لا بد وان يدهش
 أمره وحق لهم أن يندهشوا لأن الرجل الأبي قد يفوز
 بالعبقريه ولكن عبقريته لا بد وأن تتجه أما الى ميادين
 الحروب فيكون من عطاء الفاتحين أو تتجه الى أندية الرأي
 ومجالس الشورى فيكون من كبار الساسة والدهاة وأما من
 يجمع تلكا الحسينيين ويضيف اليهما نبوغ العلم، نبوغاً في
 النظم نبوغاً في التشريع، والقضاء، نبوغاً في جلب عواطف
 الخاصة والعامة، فلم يسمع به التاريخ ولم يسمح به الزمان
 وربما عد الفن وجوده ضرباً من المحال فان النبوغ في
 بعض الخصال نتيجة اتجاه الطبيعة بقواها الى القلب وحده
 والنبوغ في بعض الخصال نتيجة اتجاه الطبيعة بقواها الى
 أعضاء أخرى .

اذن فالدهوة طبيعية لدى مشاهدة بطل كهذا . بطل في العلم والنظم معاً ، بطل السياسة والفلسفة معاً ، بطل في الادارة وفي مداراة الخاصة والعامة جميعاً . بطل في التشريع والتنفيذ حتى على نفسه . بطل في كل ذلك وفوق ذلك أنه أُمي غير متعلم ويعيل تسعة أزواج وكلهن يبتغين منه العدل والاحسان . ومن وراء ذلك كله يأتي الناس بكتاب يتحداهم الى مباراته ويتحمس في وجه العموم ان يأتوا بمثله ولا يأتون .

مدحش وربك هذا الرجل الفذ ومدحش كتابه الفذ واكثر ما يعجب فيه ان لم يتخصص بفن واحد من الفنون لافي الفاظه ونظمه ولا في معانيه وحكمه فبينما تراه يتحدث ببلاغة عجيبي وأمثال عليا إذ يجري في ميدان العلم أو مضمار الفلسفة ويبدى من أسرار الطب والطبيعة وكائنات الارض وكائنات السماء ونواميس المواليد مالاتفي بشرحه الصحائف مما نطق به أمس وانكشف سره اليوم بفضائل الادوات المخترعه والفنون الآلية المتنوعة . والحالة أنه لم يملك شيئاً منها يوم أخبر عنها ثم تراه خائضاً في تاريخ القرون الخالية

والايم البائدة غير مستند على آثار أو أسفار وتأتي
الحفريات والاثريات مصدقتين له وشارحتين، بعد قرون
وأجيال وبعد ان ترجمت كتب الاقوام .

وكذلك تراه يسن نظاماً وينسخ احكاماً غير مستند في
ذلك الى مشورات أو مؤتمرات ولاسكن الظروف الاخيرة
والتجارب المتعاقبة ومؤتمرات عصورنا الحالية تدعن وتعلن
اتفاقها لاحكام القرآن عدى، انبائه الغيبية عن أحوال أفراد
واقوام وعواقب أقيال وأجيال .

هي هي « والله » بواعث الاعجاب والدهشة العامة التي
اعترت وتعتري الناس من عرب ومستعربة كلما تلوا القرآن
أو تليت عليهم آياته وفسرت بيناته .

الماضرة الثانية

هل تحدى الرسول بالقرآن ؟

صدور التحدي من الرسول لأهل الصنعة أمر أساسي
ينبغي ثبوته قبل أي شيء آخر حتى يكون المعجز معجزة وعدم
التصدي بعد التحدي ملزماً للخصم ونذكر الهدف الذي

نحن بصددده . ومن تصفح القرآن المجيد وجد بين آياته
البيّنات تحدياً بيناً ولا سيما في الآيات الأربع . أولاً
بمكة في سورة الاسراء « قل لئن اجتمعت الانس والجن
على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيراً » ١٧ : ٨٧ وأخراً في سورة البقرة
« وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله
وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم
تفعلوا ولن تفعلوا . الخ » قال علماء الكلام ان القرآن
تحدى فصحاء مكة أولاً في سورة الاسراء بأن يأتوا بمثل
القرآن الذي كان انزل فلم يأتوا به ثم تحداهم في سورتى
هود ويونس بأن يأتوا بعشر سور أو بحديث مثل حديثه
فلم يأتوا بشيء ثم تحداهم بأن يأتوا مثل سورة واحدة فلم
يأتوا به ، مجازاة في التنازل من الصعب الى السهل ثم جدد
في المدينة تنازله الى الاثنيان بسورة واحدة فلم يفعلوا .
وهو كما جازاهم بهذا التنازل وبالغ في مداراة الخصم
والتساهل معه قد اخبر باديء بديء بمكة ان الانس والجن
سواء من حضر أو غبر وسواء الماضي والآتي لو اجتمعوا

وتضاهروا وتناصروا بينهم على أن يأتوا بمثل هذا القرآن
 أي خصوص سورة « الاسراء » أو عموم ما انزل وما ينزل
 لا يأتون بذلك . وقد ظهر صدق هذا النبأ الغيبي أو الخبر
 المنفي فمرت على هذه الصرخة أكثر من ألف وثلاثمائة
 وخمسين سنة لم يأت المعارضون بمثله ولا ولن . كما انبأ
 بسورة البقرة بقوله « فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا » فانبأ عن
 الغيب بالنفي المؤبد أو النفي المؤكد . وفي نفس الوقت قابلهم
 بتعجز وتفرير وتبكييت فلو كان فيهم قوة المعارضة والمغالبة لتهيأوا
 وتغلبوا بمباراة الكلام قبل الكلام وقبل أن يفرغوا في
 محاربه ألف غمد وغمد ويمتشقوا ألف حسام وحسام .
 فنأشدت لك الله في أبي سفيان وحزبه وشدة عدائهم لمحمد
 وصحبه . هل ادخروا في وسعهم قوة لم يستعملوها في
 سبيل اطفاء نور التوحيد واتحاد نائرة الجدل اورمى
 ورموا حتى آخر سهم في كيناتهم فلم يبق لقوس الشرك
 منزعاً ولا لنفسه مفزعا الا واستخدمه في مقاومة النبي .
 وكم جند لحربه الاجناد وضحى أنفُس أمواله وأنفُس قواده
 وأعز أحبته وأولاده . فلو كان يعلم صخر قريش انه يقدر

على صقر قریش واسقاط دعوته واسكات صرخته بان
 يؤلف جيشاً من بلغاء الادباء ومفوهة الفصحاء حتى يعارضوا
 محمداً وقرآن محمد (ص) لكان هذا الامر اسهل عليه وايسر
 ما لديه . اما كان تأليف مائة شاعر ونائر من انحاء الجزيرة
 لمعارضة القرآن ايسر لديه من تأليف الاحزاب من عشرة
 آلاف مقاتل وتجهيزهم بالعتاد والأسلحة وتكوينهم بالميرة
 والذخيرة ثم يولون الادبار بعد خسائر النفوس والنفائس
 يعودون من خندق المدينة الى مكة كما عادوا من بدر وغير
 بدر بخفي حنين . فلا يرتاب عاقل ، فضلاً عن فاضل ، في ان
 اختيارهم للموت اوركوب الاصعب من الموت لم يكن
 الا نتيجة يأس واضطرار .

المحاضرة الثالثة

منزلة القرآن لدى البلغاء

ربما يخال البسطاء ولا سيما الضعفاء في صناعة البلاغة
 وصياغة تراكيب الكلام ان الجمل المسبوكة في آي الذكر
 الحكيم هي في صف الكلام المنشورة ومن صنف الحكم

المأثورة وغاية المبالغة في شأنها لدى هؤلاء . ان تنزل منزلة
القصاصد والاشعار فعلى هؤلاء واشباههم من القصر ان
يقلدوا صياغة الكلام من مشاهير البلغاء ويعولوا على
شهادات اهل الخبرة من عرفاء العرب الاولين واخص منهم
بالذكر من عارضوا الذكر الحكيم ثم باؤا بالفشل . وفيهم
المدعنون والمؤمنون امثال وليد وابيد والأعشى وكعب بن
زهير . فقد روت الينا الاثار ان الأعشى الكبير بلغته
الدعوة وايات النبوة فجاء الى ام القرى ليعتنق الاسلام
فعارضه ابو جهل ورغبه عن مواجهة النبي (ص) قائلاً (انه
يحرم عليك الاطيبين) يعني الخمر والزنا فاجابه الأعشى :
« اني كبرت ولا حاجة لي الى الزنا » واجتمعت عليه قريش
لما سمعت بخبره وبمدحه النبي الامي في قصيدة دالية جاء بها
ليجعلها مقدمة ايمانه واذعانه يقول فيها :

نبي يرى ما لاترون وذكره اغار لعمرى في البلادواجدوا
الى آخره .. قالوا للأعشى ان انشدته (اي صاحب
القرآن) هذه القصيدة لم يقبلها منك ولم يزالوا يخذعونه
ويعمنونه حتى سافر الى اليمامة وقال (اقضي اياماً هناك ثم

اعود اليه . وكذلك كعب بن زهير الذي جعل قصيدة
(بانث أسعاد) مقدمة اسلامه ويقول فيها :

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة الـ

مقران فيها مواعيط وتفصيل

ان الرسول لنور يستضاء به

مهند من سيوف الله مسلول

واما لبيد الذي يضرب به المثل في الشعر الراقي فقد

اسلم بعد اذعافه بسمو معنى القرآن وترك قيل الشعر تعظيما

واحتراما . ولما قيل له ما فعلت قصيدتك قال ابدلني الله

بخير منهما من سورتي البقرة وآل عمران . ومما شاع وذاع

وبثوا روايته في الاسماع والاصقاع ان قريشاً بعد ما نزلت

وتليت عليهم آية (وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي

وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعد آل القوم

الظالمين) ٤٦: ١١ «هود» بادروا الى القصائد السبع المتعلقة

حول الكعبة من خير ما جادت به قرائح الشعراء العباقرة

امثال : اسرو القيس وطرفة وكعب وعمرو . خجلا منهم

وانفعالا كالذي زين البيت بقناديل الزيت . ثم سطعت من

حولهن مصابيح السكرباء القوية . ومن أشهر خصوم
الاسلام قدماً الوليد بن المغيرة المخزومي فقد مر على رسول
الله (ص) وهو يتلو في صلاته بضع آيات من سورة المؤمن
فانقلب الوليد الى مجلس قومه ، وقد ادهشته روعة القرآن
فقال لهم (والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً . ما هو
من كلام الانس ولا من كلام الجن والله ان له لحلاوة وان
عليه لطلاوة وان اعلاه لشمس وان اسفله لمعذق وانه يعلم
وما يعلمي) . ولما شاع ثناؤه على القرآن قالت قريش لقد
صبا الوليد الى دين محمد وسوف تصيبو قريش معه فأرسلوا اليه
ابن اخيه ابا جهل المخزومي وامثاله ليخدعوه ويساجلوه
فاستمهل ليفكر ويعيد النظر في امر محمد (ص) ثم اتاهم
قائلاً : تزعمون ان محمداً مجنون فهل رأبتموه يخفق قط
قالوا اللهم لا . قال تزعمون انه شاعر . . فهل رأبتموه
ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا . . قال تزعمون انه كذاب
فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب قالوا اللهم لا . . (وكان
يسمى الامين والصادق قبل النبوة لصدقه ولا مانتة)
فقال قريش للوليد فما هو ؟ فتفكر في نفسه ثم قال ما هو

الاساحر . أما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده
ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر . . فأرتج النادي
فرحاً وتفرقوا . . والى هذه القصة اشارت الآيات في سورة
المدثر (ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالا ممدوداً
وبنمين شهوداً - يعني وليداً - الى قوله : فقال ان هذا
الا سحر يؤثر الخ .. فانظر الى مدى اكبارهم لامر القرآن
وشأن قائله وناقله والدهشة من سره ، حتى نعتوه بالسحر
المدعش اثره الذي هو فوق العلم والقدرة منهم .

شوهة بوهة " على هؤلاء وعلى هذه الآراء . الم
يشعروا ان السحر لا يتأني في الكلام ونحوه من امور غير
قارة الذات وما لا يبقى بعد موت الساحر وما لا يؤثر في
غيابه ولا في اقوياء النفوس والعلماء المدققين وها هو القرآن
قد مر عليه حتى اليوم ألف وقرون وسنن وهو غض طرى
كما كان لم يتضائل نوره واثره بمرور الزمان وبتوالي الاعقاب
في الاحقاب .

وقد روي عن هشام من اصحاب الامام جعفر بن محمد
الصادق عليه السلام انه قال اجتمع في بيت الله الحرام اربعة

من مشاهير الدهرية واعاظم الادباء وكبار الزنادقة وهم
 عبد الكريم بن ابي العوجاء وابو شاكر ميمون بن ديسان
 وعبد الله بن المقفع وعبد الملك البصري فحاضوا في حديث الحج
 وفي الاسلام وما يجدونه من الضغط على انفسهم من قوة اهل
 الدين ثم استقرت آراؤهم على معارضة القرآن الذي هو
 اساس الدين ومحوره ليسقط اعتباره من معارضتهم اياه
 ومباراتهم له فتعهد كل واحد منهم ان ينقض ربعاً من القرآن
 الى السنة الآتية فاذا انتقض كله وهو الاصل انتقض كلها
 يبني عليه او يتفرع منه .. فتفرقوا على ان يجتمعوا في
 القابل .. ولما اجتمعوا في الحج القابل وتساءلوا عما فعلوا
 اعتذر ابن ابي العوجاء قائلاً انه ادهشته آية (قل لو كان
 فيها آلهة الا الله لفسدتا) الخ . فاشغلتها بلاغتها وحجتها
 البالغة .. واعتذر الثاني قائلاً : انه ادهشته آية (ضرب
 مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا
 ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه
 منه ضعف الطالب والمطلوب) ٢٢ : ٧٢ الحج . فاشغلتها عن
 عمله .. وقال ثالثهم ادهشتني آية نوح (وقيل يا ارض

أبلي ماءك وباسمَاء افلمي وغيض الماء وقضي الامر
 واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين (١١: ٤٦)
 فأشغلتني عن الفكرة في غيرها . . وقال رابعهم ادهشتني
 آية يوسف (فلما استياسوا منه خلصوا نجياً) فأشغلتني
 بلاغتها الموجزة عن التفكير في غيرها . قال هشام واذا بأبي
 عبد الله الصادق (ع) يمر عليهم ويومي اليهم قائلاً : (قل
 لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن
 لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) . (الاسراء : ٨٧)
 هذا قليل من كثير عن خبر خضوع الخيرة والبلغاء الأولين
 لبلاغة القرآن وهم من اعداء الالء ومن مشاهير ادباء
 العرب القدماء . . وفي هذا القدر كفاية لمن يتطلب الهداية .

المحاضرة الرابعة

إقرار عظماء الافرنج بعظمة القرآن

أسلفنا خضوع خصوم القرآن من بلغاء العرب واقرارهم
 بعبقرية المصدر العظيم لهذا الوحي الحكيم ، وذلك لغرض
 الاقتناع والاقتناع لقاعدة «الفضل ماشهدت به الاعداء» .

عجيبة والله ظهور هذه الافاير في بطون هذه التقارير
من أقوام ركبتهم النخوة والغرور ، وكيف دانت جبارتهم
لاحكام هذا القرآن ، وخضع عباقرتهم لباهر برهانه وقهر
سلطانه ، وهم يسمعون من شفتي رجل أمي ضعيف مستضعف .
« والتاريخ يعيد نفسه » فانا اليوم نرى المتحدثين بفضيلة
القرآن وجلالة مغزاه ومرماه من عطاء الافرنج المسيحيين
وهم في اوج الرفعة والمنعة ، ونحن من الضعف كما نرى ،
فاقرار بلغائهم وادبائهم يتفوق القرآن على كل كتاب وخطاب ،
وانه الجذاب الوحيد للالباب وانه مدرسة الحكمة وفصل
الخطاب ، وانه المثل الاعلى في العمق والاعجاز وانه خير
دستور لانتظام البشر ، وانه ، وانه . بحيث تجد في كلام هذا
المقيم ، أو هؤلاء الالوف الوفاً من الحجج البالغة الكافية
للاقناع والاقناع وها نحن على التزامنا للاختصار والاقتصار
على المهم بل الالم نحترق . من هذه الشهادات على عشر هي :
١ - قال الاستاذ (١) سنايس : ان القرآن هو القانون العام

(١) ننقل هذه الشهادات واشباهها في هذا الكتاب عن مجلتي
العلم المنجية والمنار المصرية وكتاب العقيدة الاسلامية لمستر كيوليام
الانكليزية وكتاب محمد والقرآن لفضيلة الشيخ كاظم خطيب الكاظمية =

لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو صالح لكل
مكان وزمان فلو تمسك به المسلمون حقاً وعملوا بموجب
تعاليمه واحكامه لاصبحوا سادة الامم كما كانوا أو بالاقل
لصار حال الاقوام المتعدنة »

٢ - قال مستر بورسورت سميث : « من حسن الحظ الوحيد
في التاريخ ان محمداً أتى بكتاب هو آية في البلاغة ودستور
للشرايع وللصلاة والدين في آن واحد »

٣ - قال الدكتور غوستاف لوبون الفرنسي : « التعاليم
الاخلاقية التي جاء بها القرآن هي صفوة الآداب العالمية
وخلاصة المبادئ الخلقية السكرية وهي اسمى بكثير من آداب
الانجيل »

٤ : قال داور ارلوهارت : اشرق القرآن بصقعه نوراً
ياله من نور وهو نور حكمة القرآن الذي انزله على صدر نبيه
المبعوث لامحالة لارشاد البشر ... وابقى لهم دستوراً لن
يضلوا ابداً وهو القرآن الجامع لمصالح دنياهم وخير اخراهم »
٥ - قال الكونت هنري دي كستري : « لولم يكن في

= فن شاء التوسع في هذا الفرع فليراجع هذه المصادر الوثيقة .

القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك ان يستولى
على الافكار ويأخذ بمجامع القلوب »

٦ - قال رينورت : يجب ان نعترف بان العلوم الطبيعية
والفلك والفلسفة والرياضيات التي انعمت في اوربا في القرن
العاشر مقتبسة من القرآن بل ان اوربا مدينة للإسلام »

٧ - وقال جويث : القرآن يجذب القاريء بمحاسنه ويولع
فيه ولما زائدا لكثرة فصاحته وبلاغته »

٨ - قال الدكتور موريس الفرنسي : ان القرآن افضل
كتاب أخرجته يد الصناعة الازلية للبشر .

٩ - قال كوزان دي بيسوفال : أما مسألة الوحي
بالقرآن فهي اكثر اشكالا واكبر تعقيدا لأن الباحثين لم
يهتدوا الى حلها حلا مرضيا والعقل حار كيف يتأتى ان
تصدر تلك الآيات من رجل أمي وقد اعترف الشرق قاطبة
انها آيات يعجز فمكر بني الانسان عن الاتيان بمثلها لفظاً
ومعنى . آيات لما سمعها عقبة بن ربيعة حار في جمالها وكفى
رفيع عباراتها لاقتناع عمر بن الخطاب فأمن برب قائمها
وفاضت أعين النجاشي ملك الحبشة لما تلا عليه جعفر بن

أبي طالب سورة زكريا وما جاء في ولادة يحيى صاح القس
 ان هذا الكلام وارد في موارد كلام عيسى (ع).
 ١٠ - قال بو لا تبتلر : من الصعب ان يظن الانسان
 في امره ان قوة الفصاحة الانسانية تؤثر ذلك التأثير القرآني
 خصوصاً وانها تصدر عالياً بغير ضعف ابدأ وتجدد رفيعاً
 معجزة اذ تقصر دون تمثيلها رجال الارض وملائكة السماء
 و اشار الى آية « ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور
 مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين
 فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا ان ما انزل بعلم الله » الخ
 فانظروا الى هذه الشهادة التي تبرهن سر الاعجاز في
 القرآن وفي فصاحته البالغة فوق الطوق ولا بد ان تكون مما
 فوق الطبيعة وفوق المستوى البشري وقد ايد هذا الاستنتاج
 المعقول بآية تحدى بها الرسول من زعموا انه افتراه على الله
 قائلاً : فأتوا بعشر سور مفتريات منكم ومن استطعتم ان
 تشركوهم واياكم حتى يتبين المقبول من المرذول عند المقابلة
 فان الأولو الحقيقي ان وضع امام الأولو الصناعي افترض
 هذا واتضح ذاك وهذه النظرية العالية هي التي حدث بنا

ان نجعل الجذبات الروحية ملاك الاعجاز القرآني كما ستسمع
تفصيل ذلك .

ومن بديهم ما بلغنا عن مستر كريشكو الانكليزي استاذ
الاداب العربية في كلية (عليكده) الهندية عندما اجتمع
الاساتذة والادباء حوله في حفلة وسأله عن اعجاز القرآن
اجابهم .

« ان للقرآن اخاً صغيراً يسمى نهج البلاغة ، فهل في
امكان احد ان يأتي بمثل هذا الاخ الصغير حتى يسوغ لنا
البحث عن الاخ الكبير ، وامكان ان يأتي احد بمثله ؟ » .
وبمناسبة استشهاد هذا الاستاذ بكتاب نهج البلاغة
ووصف منزلته العليا في عالم الادب العربي بل العالم العلمي
الاممي نذكر كلمة جامعة لامام البلغاء واستاذ الخطباء
والادباء وتلميذ القرآن الكريم وريث النبي العربي الحكيم
« علي بن أبي طالب » (ع) يصف فيها منزلة القرآن قائلاً : « كافي
نهج البلاغة » وانزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيح
وسراجاً لا يخبو توقده وبحراً لا يدرك قعره ومنهاجاً
لا يضل نهجه وشعاعاً لا يظلم ضوؤه وفرقاناً لا يحمده برهانه

وتبينا أن لا تهدم أركانها وشفاء لا تخشى اسقامه وعز الآهزم
 انصاره وحقاً لا تخذل اعوانه • فهو معدن الايمان
 وبجوده وينايع العلم وبحوره ورياض العدل وغدراؤه
 وانا في الاسلام وبنائه واودية الحق وغيطانه وبحر لا ينزفه
 المنتزفون وعيون لا ينفضها الماتحون ومناهل لا ينفضها
 الواردون الخ »

المحاضرة الخامسة

تشریح مزایا القرآن

للقرآن مزايا جمّة ومهمّة نذكر منها ثمانين وعشرين مزايه
 كرؤوس أقلام :

- ١- فصاحة الفاظه الجامعة لكل اشراطها •
- ٢- بلاغته بالمعنى المشهور اي موافقة الكلام لمقتضى
 الحال ومناسبات المقام او بلاغته الدوقية المعنوية •
- ٣- مسحة البداوة اي عروبة العباير الممثلة لسذاجة البداوة
 مع اشتغالها على بسائط الحضارة •
- ٤- توفر المحاسن الطبيعية •

- ٥- ايجاز بالغ حد الاعجاز بدون ان يخل بالمقصود.
- ٦- اظناب غير ممل حتى في مكرراته .
- ٧- سمو المعنى وعلو المرمى في استهدافه الكمال الأسمى
- ٨- طلاوة اساليبه المطربة ومقاطيعه المبهجة واوزانه المتنوعة .
- ٩- فواصله الحسنی واسجاءه المطربة .
- ١٠- انباؤه الغيبية واخباره عن كوامن الزمان وخفايا الأمور .
- ١١- اسرار علمية لم تهتم العقول اليها بعد عصر القرآن
الابمؤنة الادوات الدقيقة والآلات الرقيقة المستحدثات .
- ١٢- غوامض احوال المجتمع واداب اخلاقية تهذب الافراد
وتصلح شؤون العائلات .
- ١٣- قوانين حكيمة في فقه تشريعي فوق ما في التوراة
والانجيل وكتب الشرايع الاخرى .
- ١٤- سلامته عن التعارض والتناقض والاختلاف .
- ١٥- خلوصه عن تنافر الحروف وتنافي المقاصد
- ١٦- ظهوره على لسان بدوي امي لم يعرف الدراسة ولا

ألف محاضر العلماء ولا جاب الممالك سائحاً مستكملاً
١٧ - طراوته في كل زمن وكونه غرضاً طريفاً كلما تلي

واينما تلي

١٨ - اشتماله على السهل الممتنع الذي يعد في الشعر ملاك
الاعجاز والتفوق النهائي

١٩ - قوة عباراته لتحمل الوجوه وتشابه المعاني

٢٠ - قصصه الحلوة وكشوفه التاريخية عن حوادث القرون

الخيالية

٢١ - أمثاله الحسنى التي تجعل المعقول محسوساً وتجعل الغائب

عن الذهن حاضراً لديه

٢٢ - معارفه الإلهية كأحسن كتاب في علم اللاهوت

وكشف أسرار عالم الملكوت وأوسع سفر في مراحل

المبدأ والمعاد

٢٣ - خطايباته البديعة وطرق اقناعه الفذة

٢٤ - تعاليمه العسكرية ومناهجه في سبل الصلح وفنون

الحرب

٢٥ - سلامته عن الخرافات والباطيل التي من شأنها

أجهاز العلم عليها كلما تكاملت أصوله وفروعه .

٢٦ - قوة الحججة وتفوق المنطق .

٢٧ - اشتماله على الرموز في فوائح السور ودهشة الفكر حولها وحول غيرها .

٢٨ - جذباته الروحية الخلابة للألباب ، الساحرة للعقول

الفتاة للنفوس .

هذه بعض مزايا القرآن تعرض على المحك لافراز ما هو من وجوه الحسن والامتيان مما هو من وجوه التفوق والاعجاز .

أما أنا فقد وقع اختياري بعد طول اختباري على وجه واحد هو الاخير في ما عددناه وهو عندي وجه الاعجاز المقصود في آيات التحدي أعني جذباته الروحية الناشئة من كونه كلام خالقنا الرب الحكيم . وهذه الجذبة محسوسة للشرقي والغربي والعجمي والعربي لا يمتاز عنده أحد .

أما سائر وجوه الحسن والامتيان فهي آثار كونه كلام الله أو مؤثرات معدة في تكوين اعجازه وجذباته الروحية وحتى ان جمهور العلماء الذين عبروا عن اعجاز القرآن

ببلاغته أرادوا ما أردنا من جاذبيته الروحية .

المحاضرة السادسة

وجوه الاعجاز على المحك

رأيت في المحاضرة السابقة على منضدة البلاغة العالية تشرح
مزايا القرآن البالغة نحو الثلاثين من وجوه التفوق لأي
الذكر الحكيم على أي كتاب كريم . بينما تلمسكم الوجوه
الوجيه تنقسم شطرين فمنها وجوه الاعجاز ومنها وجوه
للامتياز . أي أن الكلام الممتاز قد يوصف بوجوه الامتياز
على غيره من أشباهه ونظائره وقد يوصف بالاعجاز الذي
لا يأتي بمثله الأقران . مثال ذلك من كلام الامام علي (ع)
(الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون . ولا يؤدي حقه
المجتهدون) ... الخ فإن هذا الكلام موصوف بالفصاحة
لسلامته من التعقيد ومن تنافر الحروف والكلمات ومن
التنافي بين الاسجاع والقوافي . كما يوصف بالبلاغة لعلو
المعنى المرغوب وحسن التركيب والاسلوب وموافقته لمقتضى
الحال والمقام فوق ما فيه من عنوبة الالفاظ والانسجام .

غير أن الوجوه المذكورة هي وجوه حسن وامتيان وليست
من وجوه التفوق والاعجاز لجواز مباراته من قبل الادباء
والبلغاء بخلاف كلمة الامام (ع) في وصف الانسان: « أم
هذا الانسان الذي خلق في ظلمات الارحام وسجف
الاستار نطفة دهاقا وعلقة محاقا ثم جنينا وراضعا ووليدا
ويافعا ثم منحه الله بصرا لاحظا ولسانا لافظا وقلبا
حافظا » الخ فان هذه السبيكة المرضمة يواقيت السلام
ومعالي معاني الحكم معدودة في صف المعجزات البواهر
والمدحشات من العبائر الزواهر لما توفرت فيها وجوه الاعجاز
فوق صنعة الایجاز .

ثم ان الوجوه التي سبرناها في تشریح مزايا القرآن تجري
على سبائك الفاظ البلغاء على وجه العموم من منشور ومنظوم
ومن مآثورات الكتاب والسنة ومن منشئات سائر الانم
من عرب وعجم .

فالأمة الفارسية التي تعد منظومتها الموسوعة الموسومة
« شهنامه » في ذروة الشعر الممتاز بالغ حد الاعجاز
وتتباهي بالسهل الممتنع من شعره المعجز :

بروز نبرد آن یل ارجمن بتیغ و بتیر و بگرز و کمن
برید و درید و شکست و بدست

یلانرا سر و سینه و پاودست
و حقاً أنه معجز من قبل الفرد لقمیل الأفراد بينما تقرأ
في هذه المجموعة الموسوعة أبحاثاً ممتازة أخرى لا تبلغ حد
الاعجاز بل تقنع بوجوه الامتياز أمثال :

توانا بود هر که دانا بود ز دانش دل پیر برنا بود
اذن فالفرق بين بينما نعمة من وجوه اعجاز القرآن وبينما
نعمه من وجوه الامتياز فحسن السبك والاسلوب وسهولة
اللفظ والتركيب وسلامة الكلام من تنافي المعاني أو تنافر
الحروف وأمثالها مهما كانت محبوبة وممدوحة فانها لا تخرج
من دائرة وجوه الامتياز ولا تبلغ حد العبقرية والاعجاز
ذلك الاعجاز الذي تحدى القرآن به في آية الاسراء ٨٧: ١٧
« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا
القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » وهذا
الاعجاز القرآني فوق كل إعجاز يذكر في عالم الشعر والنثر
لأن هذا الاعجاز إعجاز من قيل فرد لقمیل أفراد مثله

فيما الاعجاز القرآني اعجاز أممي عالمي . ألا ترى السبائك
 من الشعر في ديوان المتنبي والبحري وفي شهنامة الفردوسي
 بل وفي نهج البلاغة أيضاً من مقولة السهل الممتنع قد تبلغ
 حد الاعجاز ولكنه إعجاز فرد لأفراد وليس من الاعجاز
 القرآني في خل ولا خمر . إذ الاعجاز المذكور في دوحه
 البلاغة على ما وصفناه اعجاز شخصي لا اعجاز فرد لرجال
 الطوائف وطوائف الرجال أجمع وامتناع وقوعه عادة
 لآذاً . . أما إعجاز القرآن بما أنه كلام الخالق فهو فوق
 قدرة الخلاق فلا يقاس بالاعجاز الذي ذكره علماء البلاغة
 ويقبأ به البلغاء . ثم ينبغي أن نضيف على ما ذكرناه من
 وجوه الامتياز لإعجاز الكلام وسلامته من التنافي والتنافر
 وغرابة أساليبه وبلاغة تراكيبه وما يعد شبيهاً لهذين من
 جمال اللفظ وكمال المفزى ورصانة السبك وعذوبة السجع
 وحكمة التأليف والانسجام فانها بأسرها ثابتة
 للقرآن ولغير القرآن من أشعار الادباء وسبائك الخطباء
 ومأثورات الحكماء والبلغاء .

فإذا اتضح لديكم وجوه الامتياز التي هي دون وجه

الاعجاز فلا غرابة ان لا يتضح عند العموم وجه الاعجاز
لصعوبة ادراك الاعجاز وتساميه عن مدارك السواد الاعظم
ولو كان الاعجاز سهل الفهم لكان استعماله في سبيل التفوق
وصياغة الكلام العبقري سهلاً أيضاً ولكنه كالملاحه قد
تدرك ولا توصف فتراهم يصفون الكلام بالعبقرية والتفوق
والاعجاز وهم لا يفقهون معانيها في الاكثر فأصبح من
الضروري تقريب الافهام نحو هذه الغاية المقصودة والضالة
المنشودة واختيار محك محسوس قريب الفهم سهل التداول
كي يتسنى لكل أحد تشخيص الكلام المعجز من غير المعجز .
مثلاً يضع الصيرفي محكاً حسياً لديه ليعرف به الذهب من
المذهب والنقد الصحيح من المزيف .

نعم لما تساهل أقوام من المناخين عن القرآن وإعجازه
فعدوا من ذلك قسماً مما ليس به بل هو من وجوه امتيازه ،
حيث التمس عليهم وجه الحق واختلط لديهم لون الوجه .
لذلك اقتضى الاهتمام بالمحك الحسي الذي نوهنا عنه انعرضه
الآن على الطالبين وذلك هو الآية المتقدمة « قل لئن اجتمعت
الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله

ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا « ١٧ : ٨٧ فتضع الوجه المشكوك كونه من مقولة وجوه الاعجاز مستقراً بين كلمة القرآن وبين كلمة لا يأتون فان تم الاقتناع والاقتناع به كان من وجوه الاعجاز والا فهو من وجوه الامتياز مثاله إنا نشك في كون الانسجام وكون الكلام موافقاً لمقتضى المقام هل هما من وجوه الاعجاز أو هما من وجوه الامتياز فنضعهما في خلال الآية بين كلمة القرآن وبين كلمة لا يأتون فتقرأ هكذا « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في الانسجام وموافقة مقتضى المقام لا يأتون بمثله » وبعد التأمل نرى هذا القول غير صحيح لجواز اتيان ذلك كذلك . وأما لو وضعنا كلمة الانباء الغيبية والجدبات الروحية في نفس هذا المكان وقلنا « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في انبائه الغيبية وجذباته الروحية لا يأتون بمثله » . الخ وجدنا المعنى صحيحاً ومعقولاً ومقبولاً .

فهذا نعرف أن هذين الأخيرين هما من وجوه الاعجاز والأميرين السالفين ليسا إلا من وجوه الامتياز فكما شك

فيه وضع في هذا المكان من الآية على المحك فان صح انضح قبوله فهو من وجوه الاعجاز وان أباه العقل وعافه الذوق من أن يكون معجزاً للبشر خرج من دائرة العبقريّة والاعجاز ولنا محك ثان قرآني على غرار الاول نعرف به الوجه المشكوك كونه من وجوه الاعجاز وذلك آية البقرة « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » ٢٤: ٢١ الخ فان المحك الحسي القياسي هنا وضع المشكوك بعد كلمة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا فن شك في حسن الاسجاع القرآنية مثلاً هل هو من وجوه إعجازه أو من وجوه حسنه وامتيازه وضعه بعد كلمة من مثله في الآية هكذا « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله في الأسجاع والقوافي - الى قوله - فان لم تفعلوا ولن تفعلوا .. الخ » فالمتأمل في هذا الكلام لا يتقبله بقبول حسن لجواز الاتيان بمثل أية سورة في اسجاعها ، اما اذا وضعنا في هذا المحل من هذا المحك كلمة البلاغة أو الجامعية وقلنا هكذا : « إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله في البلاغة أو الجامعية - الى قوله - فان لم تفعلوا ولن

تفعلوا » كان الكلام معقولا ومقبولا وتبين النبي من
الرشاد وامتاز الخطأ من الصواب .

(ملحوظة) في التباس المانع بالسبب يصطاح: علماء الحكمة
وأساتذة الفلسفة اسم « السبب » على كل شيء يؤثر وجوده
في وجود المسبب كما يصطاحون اسم (المانع) على كل شيء
يؤثر عدمه في وجود المسبب أو وجوده في عدمه مثاله :
اجتماعهم على ان النار سبب الاحراق والاختراق أي يلزم من
وجودها متصلة بالورق احتراق الورق ويسمون الماء والتراب
مانعين لأنهما من وجودهما بالورق يلزم عدم الاحتراق وانطباق
هذا الاصطلاح على وجوه الاعجاز والامتياز في مزايا آيات
الذكر الحكيم واضح لدى المتأمل غير أن أقواماً من المفسرين
قد التبس عليهم أمر المانع بالسبب فعدوا سلامة القرآن من
التنافي والتنافر وجه اعجازه في حين أن وجود التنافي
والتنافر من موانع الاعجاز وليس انعدامهما والسلامة منها
من أسباب الاعجاز . كما وان اجتماع الاسباب المتعددة في
القرآن لتكوين عبقريته وإيجازه جائز غير ممنوع فكل
شيء يجوز أن يوجد بسبب أو بأسباب وكل شيء يجوز
انعدامه بمانع أو بموانع .

النظريات السبع للعلماء في وجوه الاعجاز

عرضنا على الطلاب لمعرفة وجوه الاعجاز وتمييزها من سائر وجوه الامتياز في المحاضرة السادسة السابقة محكماً بديلاً صالحاً لجميع كل وجه مشكوك من وجوه الاعجاز ولما سبرنا مضاي القرآن البالغة نحو الثلاثين واختبرناها على ضوء هذا المحك القرآني نجحت منها ستة صالحة لان تعد من وجوه الاعجاز وهي :

(١) صدوره من أمي مثل محمد (ص)

(٢) بلاغته الفائقة

(٣) غرابته أسلوبه

(٤) انبأؤه الغيبية الصادقة

(٥) جذباته الروحية

(٦) جامعيته لهذه الوجوه

وصادفت هذه الجهات الست ان لكل منها قائلين من ذوي العلم ومن وراء هذه الجهات الست جهة الصرف ومعنى

ذلك ازوجه الاعجاز صرف الله لوجوه البلغاء وألسن الأدباء
وقلوب المعارضين عن الايتان بمثله فعمد هذه التي يسمونها
جهة الصرفه الصرفه أصبحت النظريات في وجوه الاعجاز
سبعاً تشير الى كل منها بإيجاز :

الجهة الاولى من المحاضرة السابعة

جهة الامية التي اختارها الشيخ محمد عبده مفتي الديار
المصرية ثم الشيخ الملاغي النجفي في آلاء الرحمان تبعاً لكثير
من اهل العلم والمحدثين فقالوا في آية البقرة (فاتوا بسورة من
مثله) . . الخ يعود الضمير في مثله الى المبلغ - بكسر اللام اي
محمد (ص) - لا الى المبلغ - بفتح اللام اي القرآن - .

نعم هذا الاحتمال جائز غير انه خلاف للظاهر في آيات
التحدى الاخرى كما آية (فاتوا بهشور سور مثله مفتريات) وآية
الاسراء (لا يأتون بمثله) ٧٨: ١٧ لذلك نقول ان الامية في المقام
هي من وجوه الاعجاز حقاً ولا يمكن لاعلى سبيل الانحصار
ومنع الجمع اعني ان القرآن من وجوه اعجازه والاعجاب به
صدوره من مثل محمد الأبي ربيب البادية البعيد عن
حضائر الفنون . . البعيد عن حواضر الحكماء . . البعيد عن
محاضرات العلماء كما اسلفنا البحث الضافي عن ذلك في آخر

المحاضرة الاولى ونفصلها تحت العنوان الآتي :

الاعجاز والاممية

ليس شيء مما حول النبي العربي (ص) اوضح من تاريخه ولا ناحية من تاريخه اوضح من امميته . . بمعنى اني القراءة والكتابة عنه كما فصلناه في اجوبة المسائل بالدلائل (١) ولم تك هذه الصناعة مسلوقة عن شخصه فقط بل كان عليه القوم والسواد الاعظم في ام القرى وحولها محرومين من هذا الكمال . . كما صرحت به آية الجمعة « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم » . الخ . . واكدهم اية « وما كنت تتلو من قبله من كتاب .. ولا تحطه يمينك .. » ٢٩: ١٧ الخ . . والمراد من الكتاب في عرف القرآن « الكتابة » غالباً .

وبما ان اهل مكة اذ ذاك لم يكونوا اهل عناية بتعلم القراءة والكتابة . . ولا بتعليم اولادهم وافلاذ اكبادهم لندرة وجود الكتاب والكتابة . . وندرة الحاجة الى

(١) هذا الكتاب (الدلائل والمسائل) مجموعة موسوعة مؤلفة

من عشرة مجلدات المصنف

ضبط الحساب لقلة المعاملات وكثرة الحفظ وقوة الذاكرة
فيهم . . . نشأ محمد (ص) كآبائه واقربائه بعيداً عن الكتابة
والدراسة . . .

وتاريخ الحجاز في دوره الجاهلي . . . ومحيطه البدوي . . .
يعوج بالشواهد المثبتة لهذه الحقيقة الراهنة - اعني أمية
النبي وقومه بالرغم من مغالطات قساوسة الغرب والمستغربة . . .
وتشبهاتهم بمنقولات مراسيل عن مجاهيل أو انتحالات ابن
أبي العوجاء واشباهه . . . كل ذلك لاغراض وامراض يربأ
القلم عن ذكرها . . .
وهدفنا الآن توضيح اعجاز القرآن من جهة أمية مبلغه
وسفيره (ص)

(مثال طبيعي) : الشعب الوائق بأن سفيره لا يقرأ ولا
يكتب . . . ولا يخون ولا يكذب ولم يعهد منه قيل الشعر . ففي
وضع راهن كهذا لو يفاجئهم سفيرهم بكتاب فذ في الكتابة
والأنشاء والاملاء . . . وادعى انه مرسل به من ناحية
السلطان . . . فان الشعب ضروري ايمانه واذعانه له . . . وعدم
اتهمه بانه المباشر لهذه الفرية .

هكذا شأن القرآن ومبلغه الأمي الأمين (ص) ونتيجة
 القول الواضحة كشمس الضحى أو أوضح، إن محمداً (ص) قام
 قبل الف وقرون بالتحدي بعد التصدي لا تيان كتاب هو
 (هذا القرآن) ٢٠ في عبقريته اللامعة ٠٠ وبلاغته الجامعة
 لمقتضى الحال والمقام ٠٠ وفصاحته رائعة وقصص نافعة ٠٠
 وتشريع كامل ٠٠ وقانون قضا عادل ٠٠ وانباء غيبية عن
 الحوادث الآتية وعن القرون الخالية والامم الماضية ٠٠ فوق
 ما فيه من حكمة سامية ٠٠ وقريبة آداب عالية ٠٠ وتوحيد
 أممي لا صلاح عالمي و ٠٠ و ٠٠

لقد جاء قومه بمثل هذا القرآن وبلاده آنذاك جرداء
 بلا مرأ كبعض القرى الوحشية ببطنان بوادي افريقيا و خلوا
 من وسائل العلم والعمران وأهلوها البسطاء صفر الكف من
 وسائل الرقي والحضارة ٠٠ نعم كان الحجازيون ترتكز
 دائرة معارفهم (السكرلويديا) في اسواق عكاظ ومواسم
 الحجيج والنوادي على ما يأتي :

(١) انساب القبائل والخييل

(٢) قصائد واشعار في التهناني والمراني و ٠٠ و ٠٠

(٣) اقضية العارفات

(٤) صحر النفائات

(٥) التحدث بالخرافات من وثنيات وحكايات و . . .

(٦) القيافة والعرافة و . . .

(٧) تأويل الاطياف

(٨) انواء النجوم واسماء كوكبات الكواكب مع الظواهر
الجوية فقط .

(٩) موسيقاهم : حدي الابل (اذا اول من تفنن في

الموسيقى بعهد الامويين ابن سريج)

(١٠) طبهم : الكي والميسم وعقاقير الحشايش (كاتي عند
الصلبة)

فناشدتك الشرف والضمير هل في قدرة المتخرجين من
هذا المعهد البسيط بتمام معاني الكلمة واستطاعة الناجح من
هذا الحقل القاحل ان يبرز - مهما كانت براعته أو براعته فذة -
ذات عبقرية فائقة - كتاباً كالقرآن الذي قرأناه ووصفناه من
قبل . (على شريط أن تكون هذه الاطروحة لهذا المتخرج
من نفسه لا من وحي ربه) وهل في مستطاع ابناء هذا

المعهد الحجازي الذي وصفناه تأليف سفر كهذا، يقول في
بلاغته مثل الدكتور شبلي شميل :

ببلاغة القرآن قد خلب النهي رب الفحاحة مصطفى الكلمات
أر يقول في بلاغته الفائقة مثل كوزان دي بيرسوفال :
« والعقل يحار كيف يتأتى ان تصدر تلك الايات من رجل ابي
وقد اعترف الشرق قاطبة انها آيات يعجز فبكر بني الانسان
عن الاتيان بمثلها لفظاً ومعني » . . الخ

وهل في مقدرة المثقف من مدرسة القفار القاحلة قبل
الف وقرون تأليف كتاب كالقرآن ينم عن اصول الطب
والطبيعة واسرار كائنات الأرض وكائنات السماء ذلك
الكتاب الذي يقول فيه مستر رينورت : « يجب ان
نعترف بان العلوم الطبيعية (*) والفلك والفلسفة والرياضيات
التي انعشت اوربا في القرن العاشر مقتبسة من القرآن » . الخ
او هل يستطيع ابي قضى نشأته الأولى صديقاً ويافعلاً
بين رعاة الأبل والاغنام بعيداً عن مركز المدنية وحضائر

(*) ومن شاء تفصيل هذه الأبحاث والموافقة بينها وبين القرآن
فليرجع الى كتابي الهيئة والاسلام ، والشريعة والطبيعة للمصنف

المعارف .. بعيداً عن حواضر الحضارات وبعيداً عن محاضر
علماء الاخبار والآثار . فيظهر للناس كتاباً عن الناس
مسنون فيه قوانين القضاء وآداب المجتمع بحيث تقتبس منه
طيلة الف وقرون والى ما لا يعرف مداه من المستقبل علماء
وقضاة وحكام ومؤتمرات تشريع الاحكام . فلو سمحنا للقلم
لاوجد السأم في اشباع المقام من شواهد تأييد هذه
الدعوى اي دعوى اعجاز القرآن من ناحية أمية سفيره
المصطفى محمد (صلى الله تعالى عليه وعلى آله الطاهرين
وصحبه المرضيين

الجهة الثانية من المحاضرة السابعة

جهة البلاغة العالية في القرآن ومزاياه السامية وهذه
الجهة مختارة الجمهور وهو رأي مشهور منصور يعتمد عليه
الأدباء واساتذة العربية وأئمة التفسير والحديث حتى المخالفين
للقرآن في القديم والحديث وبما انني أرى الفصاحة صنعة
لفظ تتركز على الجوارح من فم ولسان واصوات واسنان
والبلاغة صفة المعاني اولا وبالذات ثم تعرض القول وقائمه

وبالأوسطة وترتكز على العقل والعقلية والنفس والنفسيات
 فهذه أي البلاغة تتعلق بالقضية المعقولة أكثر كما ان
 الفصاحة تتعلق بالقضية المفوضة أكثر ، ولما كانت عوالم
 اللفظ لا بتناؤه على الحروف محدودة مهما توسع وتوسعت
 فعالم المعنى لا بتناؤه على الصور الذهنية والشؤون الروحية
 والخواج النفسية فهو غير محدود وغير متناه فمن أجل ذلك
 نرى ان البلاغة الدوقية المعنوية هي اوسع نطاقاً بكثير مما
 يتصوره البلغاء في أي الذكر الحكيم وسوف تتوسع الأجيال
 الآتية في اسرار بلاغة القرآن بأضعاف ما توسع الأولون
 فالبلاغة المعنوية بحر لا قرار له ولا ساحل كما اشارت اليه
 آية: (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان
 تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) ١٨: ١٠٩ وكذلك نرى
 ان لغة القرآن احوى من غيرها وأوفى ببيان الشؤون الروحية
 والخواج النفسية من هذه وتلك نحكم بان بلاغة القرآن
 الدوقية المعنوية أوسع جداً مما قاله البشر فيما مضى وفيما
 حضر وعلى هذا الاساس يظهر للمتأمل المنصف ان القرآن
 ابلغ كتاب رآه الانسان وارواه ببيان الشؤون الروحية

والخواجج النفسية وبطبيعة الحال يجوز من يباريه عن
ايمان ما يدانيه . أجل في القرآن بلاغة فائقة لا تذكر واهل
العلم جلهم او كلهم مؤمنون مدعنون ببلاغته الفائقة ولا يكن
هل هي البلاغة التي يصفها علماء المعاني والبيان والبدیع
واساتذة البلاغة من انها موافقة الكلام الفصيح لمقتضى
الحال والمقام او المشتمل على المحسنات البديعية
أو هي من الدوقيات التي تدرك ولا توصف
كالملاحاة والحسن، بما ان بلاغة القرآن او القول العربي البليغ
خلقت علوم المعاني والبيان وليست هذه العلوم خالقة القرآن
كما ان القرآن هو الذي خلق النحو والصرف وليس الصرف
والنحو أولدا القرآن حتى نجعلها محكا لهذا القرآن ، فالقرآن
هو الحكم الذي يعرض عليه ويرجع اليه في قواعد الصرف
والنحو وآداب الفصاحة والبلاغة ومحاسن النظم والنثر
ويذبغي لهذه العلوم مشايعة القرآن وليس على القرآن ان يشايع
هاتيك فاذا سمعتم من افواه المخالفين او قرأتم من افلامهم
الاثيمة شبهات حول آية كريمة خلافا لما تقرر في
هذه العلوم فراجعوا لمعرفة الجواب عنها كتب التفسير
ولاسيا السكشاف والمحيط وحجة الاسلام (١) وغيرها

(١) كتاب مخطوط المؤلف في التفسير في عدة مجلدات

ولو سلمنا جدلاً تقليد اساتذة البلاغة ومشايعة أقطاب
فنون الشعر والنثر في سير آي الذكر الحكيم على اصول
هذه العلوم وما يدر كون فنقول : تجدون في كتاب السبع
المثنائي مثلاً من وجوه بلاغة القرآن ومزايا آياته المشتملة على
أسرار من العلوم العالمية وتقنها في موافقة الحال والمقام
نحو سبعمين وجهاً من وجوه البلاغة في سورة صغيرة الحجم
كالفتاححة، عشرة منها في أصغر آية، فيها أعني « مالك يوم الدين »
ولكن هذا كله بحسب استعداد المؤلف ومبلغ علمه
ومقدار فهمه او بحسب استعداد السامعين والمطالعين وليس
هذا القدر هو كما يتعمله لفظ القرآن بحسب افهام علماء
البشر في مختلف الأزمنة والامكنة وأنتنا نورد آيتين
معروضتين لديكم على محك البلاغة العالية لتكونا مثالين
يحتذا بهما ويقاس عليهما فيما يسمونه وجوه البلاغة ظاهراً
ومن ذا الذي يعلم انحصار وجوه البلاغة بهذا الذي ذكره
او بالذي يرد على خواطرهم بمرور الزمان .

آيتان على منضدة التشریح

نقدم الى منضدة التشریح لمزايا القرآن آيتين : الاولى

(آية أم حكاية : واوحينا الى ام موسى ان أرضعيه فاذا
 خفت عليه فالقيه في اليم يلتقطه عدولى وعدو له ولا تخافي
 ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين « ٢٨ : ٦
 لقد جمعنا حفل ببغداد الى بعض فضلاء الدميمين ، والمذيع
 يتلو علينا هذه الآية فاعجب الذي ببلاغتها وبجودة تلاوتها
 فحدثته ان احد العلماء سمع بالكوفة جارية فاعجبته
 فصاحتها وبلاغتها فقال ما بلغك من ناطقة فقالت له الجارية :
 مه يا شيخ ما ترك القرآن لغيره ظهور البلاغة اما سمعت آية
 (واوحينا الى ام موسى) الخ . كيف جمعت على وجازتها
 ابداع الایجاز خبرين وانشاء اثنين وامرين ونهيين ووعدتين
 فأعجب الجميع حسن بيان الجارية وادبها الجم فقال صاحبنا
 الذي الآية آية كما الجارية آية فقد انت بما يعجز عن
 الآتيان بمثله كل احد . . فقلت كلا . . فاني الآن اتيكم
 باكثر مما انت او نحوه . فان الآية جمعت فعلين من الماضي
 (اوحينا وخفت) وفعلين من الامر (ارضعيه والقيه)
 وفعلين من النهي (لا تخافي ولا تحزني) ووزنين من اسم
 الفاعل (رادوه وجاعلوه) ووزنين من اسم المفعول اى

(موسى - بمعنى المنشول من الماء - والمرسل) ثم اسمين من
الصفة المشبهة وهو (العدو) المتكرر وكان بإمكانه ان يقول
عدو لي وله ثم اسمين خاصين (موسى وامه) ثم تكرار فاء
الجواب مرتين ولام الاختصاص مرتين وحرف (الى)
مرتين ثم اعادة الخوف مرتين وتعبيره عن ام موسى باسم
مزدوج بدل ان يسميها باسمها الخاص . وثم فيها نبأان
غيبيان : احدهما الاخبار بالتقاط عدوله
والثاني الخبر برد موسى الى امه ووعدان بالرد والنبوة
ولعل هذا الوجه المزدوج هو المرحح لمبك اربعة عشر
امراً مزدوجاً فطار الذي طرباً وفرحاً من شدة
اعجابه واستغرابه وصار مع الذين حضروا يكررون القيام
والقعود من شدة الاعجاب وقوة الاعجاز

(الآية الثانية) او مثال البلاغة السامية

« وقيل يا ارض ابلي ماءك وياسماء أقلامي وغيض الماء
وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين »
١١ : ٤٦ هي التي شغلت بال باقعة الادباء عبدالله بن المقفع
وهي التي أنزات فأنزات قريش معلقاتها السبع عن جذران

الكعبة وقد علم أساتذة البديع بلاغتها باشتغالها على صنعة
 الابداع وقال العلامة الشريف السيد علي خان المدني في كتابه
 «انوار الربيع في محاسن فن البديع» الابداع بالباء الموحدة
 هو ان يكون البيت من الشعر او الفصل من النثر او الجملة
 المفيدة مشتملا على عدة ضروب من البديع ولم يوجد مثل
 هذا النوع من الكلام مثل قوله تعالى «وقيل يا ارض
 ابلمي ماءك ياسماء اقلعي وغيض الماء وقضى الامر واستوت
 على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين» فانها اشتملت على
 ثلاثة وعشرين نوعاً من البديع وهي سبعة عشر لفظاً :

١ - المناسبة التامة بين ابلمي واقلعي .

٢ - الاستعارة فيها .

٣ - الطباق بين الارض والسماء .

٤ - المجاز في قوله ياسماء فان الحقيقة يامطر السماء

٥ - الاشارة في (وغيض الماء) فانه عبر به عن معارف

كثيرة لان الماء لا يفيض حتى يقلع مطر السماء وتبلغ الارض
 ما يخرج منها من عيون الماء ففيض الحاصل على وجه الارض
 من الماء .

٦ - الارداف في قوله واستوت على الجودي فانه عبر

عن استقرارها في المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى

٧ - التمثيل في قوله : وقضى الامر . فانه عبر عن هلاك

الاهالكين ونجاة الناجين بلفظ بعيد عن المعنى الموضوع .

٨ - التعليل فان غيض الماء علة الاستواء .

٩ - صحة التقسيم فانه استوعب اقسام الماء حالة نقصه

اذ ليس الا احتباس ماء السماء والماء النابع من الارض وغيض
الماء الذي على ظهرها .

١٠ - الاحتراس في قوله : «وقيل بعد القوم الظالمين» اذ

الدعاء يشعر بانهم مستحقو الهلاك احتراساً من ضعف
يتوهم ان الهلاك لعمومه ربما شمل غير مستحق .

١١ - المساواة لأن لفظ الآية لا يزيد على معناها .

١٢ - حسن النسق فانه تعالى قص القصة وعطف بعضها

على بعض بحسن الترتيب .

١٣ - إئتلاف اللفظ مع المعنى لأن كل لفظة لا يصلح

معها غيرها .

١٤ - الإيجاز فانه تعالى امر فيها ونهى واخبر ونادى

ونعت وسمى واهلك وابقى واسعد واشقى وقص من الانباء
مالو شرح لجفت الاقلام .

١٥ - التفهيم لأن اول الآية يدل على آخرها .

١٦ - التهذيب لأن مفرداتها موصوفة بصفات الحسن .

كل لفظة سهلة مخارج الحروف عليها رونق الفصاحة سليمة
عن التنافر بعيدة عن البشاعة وعقادة التركيب .

١٧ - حسن البيان لأن السامع لا يتوقف في فهم معنى
الكلام ولا يشكل عليه شيء منه .

١٨ - الاعتراض وهو قوله وغيض الماء واستوت على

الجودي .

١٩ - الكناية فانه لم يصرح بمن غاض الماء ولا بمن قضي

الأمر وسوى السفينة ولا بمن قال وقيل بعداً كما لم يصرح

بقائل يا ارض ابلعي وباسماء أقلمي في صدر الآية ، سلو كافي كل

واحد من ذلك سبيل الكناية ان تلك الامور العظام

لا تتأتى الا من ذي قدرة قهارة لا يغالب فلا مجال لذهاب

الوهم الى ان يكون غيره جلّت عظمته قائل يا ارض ابلعي

وباسماء أقلمي ولا ان يكون غايض ماغاض ولا قاضي مثل

ذلك الأمر الهائل غيره .

٢٠ - التعرض فانه تعالى عرض بساكني مساكنهم في
تكذيب الرسل ظالماً وان الطوفان وتلك الامور الهائلة ما كانت
إلا لظلمهم .

٢١ - التمسكين لان الفاصلة مستقرة في محلها مطمئنة في
مكانها غير قلق ولا مستدعاة .

٢٢ - الانسجام لان الآية بجملتها منسجمة كالماء
الجاري في السلاسة .

٢٣ - الابداع الذي هو شاهد المقام وعنوان هذا
النوع الجامع . وفي هذه الآية الكريمة تفرعات أخر مثل ان
الاستعارة منها في موضعين والمجاز في موضعين وصناعات
أخرى في أجزاءها الكثيرة وامثال ذلك مما يستنبط بقوة
النظر والاستقراء بمعرفة الناقد البصير . . وقد افردت
بلاغة هذه الآية بالتأليف . . وفي كتاب العجائب للكرمانى
اجمع المعاندون على ان طوق البشر قاصر عن الاتيان بمثل
هذه الآية بعد ان فتشوا جميع كلام العرب والعجم فلم يجدوا
مثلاً في فخامة الفاظها وحسن نظمها وجودة معانيها في

تصوير الحال مع الإيجاز من غير إخلال الخ . انتهى
كلامه رفع مقامه .

ولقد أضفت على هذه الوجوه الوجهية عدة وجوه
أخرى لتكملة الثلاثين هي :

٢٢ - اشتغالها على بعض البحور الشعرية إذ قوله (وقيل
يا أرض ابلي ماءك) على وزن مستفعل مستفعل فاعل . وبإسماء
أقلعي على وزن مفاعل مفاعل .

٢٥ - مثال من الموشح وإدخال بحر على بحر كما قلناه في
في آية (فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التي ، فطر
الناس عليها) .

٢٦ - تنزيل من لا يعقل منزلة من يعقل في النداء والمخاطبة
في (يا أرض وبإسماء) .

٢٧ - الإيهام في قوله استوت على الجودي وهو اسم
الجبل الصغير والزق المنفوخ الذي تستقر عليه سفائن مائيه .

٢٨ - محافظة السجع والروي في قوله : بعد اللقوم الظالمين
كفواصل الآي قبله وبعده .

٢٩ - التكرار كما في الماء معرفاً باللام وبالإضافة .

٣٠ - تخيل مال-كية الارض للماء بحيث لها سلطة في

استرجاعه ٠٠٠٠٠٠٠٠

ولو شئنا ان نضيف المحاسن البيانية على المحاسن

البديعة وسائر الصنائع الاصطلاحية مع افراد جملة من المزايا
المتداخلة فيما ذكر لتجاوزت الاربعين وفاضت ثم فاضت .

غير اننا ننظر الى بلاغة الآية بمنظار الذوق المعنوي

دون هذه المصطلحات الصناعية وذلك الذوق المعنوي ممزوج
بالخواجج النفسية والهواجس الروحية واشارات واسمات
تحت تأثير العقول .

ولو توجهت افكار العلماء الحكماء والبلغاء والادباء

الى استنباط المزايا العلمية واسباب الجذب الروحية في
جملة الآيات وجلها لاضافوا على هذا الجمال الصناعي الذي
رسمناه جمالا طبيعيا وعبقرية كاملة شاملة تجمل القرآن حريا
بأن يسمى كهرباء القلوب ومغناطيس الارواح .

الجبهة الثالثة من المحاضرة السابعة

الاعجاز وغرابة الاسلوب

غرابة الاسلوب صفة تميز الكلام وتوجه نحوه الرأي

العام وقد غالى بعض اهل الأدب من العرب وغير العرب في
 قيمة هذه الميزة فعدوها من وجوه الاعجاز وحتى في آى
 الذكر الحكيم وسوره. غير ان الغرابة في الأساليب غير واضحة
 المفهوم لاموضوعاً ولا حكماً فلا غنى لنا من كشف النقاب عنها
 بوسيلة اقوال القوم وتمثيلاتهم ولو في الجملة ٠٠ نعم ٠٠ قد نرى
 الذين يجنحون الى غرابة الاسلوب في الذكر الحكيم قديتمثلون
 (أ) بالحروف المقطعة في فواتح السور واستعمال القرآن لها
 كرموز والغاز تدهش ذوي العقول بأفتتاح القرآن بقاف او
 نون او حم او الماوص او الفلام ص وكهيمص، وسنورد الوجه
 الوجيه في كل ذلك بحاضرة قادمة (ب) وقد يتمثلون بغرابة
 الالفاظ والاسجاع المفززين للاستماع والظباع نحو كلمة
 (مدهامتان) (والخنس الكنس) (والخناس والناس)
 والتحول من سجع النون الى الجيم ومن الجيم الى الميم ومن
 تكرار « الرحمن الرحيم » وتكرار (اتقوا الله واطيعوه) وتكرار
 (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فوق المبالغات الغريبة
 والاستعارات العجيبة .

ج: وقد يتمثلون بغرابة الأسلوب بكثرة تحولات القرآن
الحكيم من أسلوب النصيحة والوصية الى أسلوب سن
القوانين او الترسل والتوسل . ومن أسلوب التأديب والتعليم
الى أسلوب الروايات والقصص والامثال وتواريخ الاجيال
وهكذا .

بينما اساتذة الانشاء واصحاب الاقلام قسموا الاقلام
الى سبعة : -

- ١ - قلم الترسل ، وقلم الاستعطاف والتوسل .
- ٢ - قلم الوصايا والنصائح والمواعظ .
- ٣ - قلم التأريخ وكشف الاحوال وسير الاجيال
والاقيال .

- ٤ - قلم التأليف والتصنيف البسيط .
 - ٥ - قلم سن القوانين وفقه الاحكام .
 - ٦ - قلم الشعر ومحسناته البديعية وامتياز البيان .
 - ٧ - قلم الرموز والالغاز والاحاجي والاسرار .
- وهذه الاقلام يختص كل منها بحدود وقيود واحكام
فصلناها في كتاب « الدلائل » وجرت عادة البلغاء والكتاب

على توجيه كل واحد من هذه الافلام على اسلوب خاص
ولون مخصوص من الوان الانشاء واختصاص الكاتب بواحد
منها فالذي يؤلف في سن القوانين وشروحها لا يؤلف
منه ان يجري على سبيل الترسل كالذي يترسل في التهامي
لا يؤلف منه ان يجري على سبيل المراي بينما القرآن لا يختص
باسلوب واحد بل يجمع وربما يمزج هذه الاساليب بين آية وآية
وبين سورة وسورة حسب مناسبات الحال والمحل . فلا هو كله
على شاكلة الترسل ولا هو كله على شاكلة الوعظ ولا هو
كله على شاكلة انشاء القوانين . والتأمل في هذه الامثلة
وما تمثل به هؤلاء الطوائف بالاضافة الى ما سنبذره عن
الوليد بن المغيرة الخزومي شارحاً لمقاصد القوم من
غرابية الاسلوب واضحة من حيث الحكم والموضوع .

نعم ان اول من تنبه ونبهه الفطن على غرابية اسلوب
آي الذكر الحكيم هو ابو خالد الوليد بن المغيرة شيخ بني
مخزوم . (فشهد شاهد من اهلها) وهو من بلغاء عصر الوحي
ونزوله ، وشيوخ قريش وعوارف العرب في الادب
الجاهلي والخبراء بصناعة الانشاء فقد نشر رأيه بادي بديء
حول القرآن في سبيلكته المشهورة وكلمته الماثورة . (لقد سمعت

من محمد كلاما لاهو من كلام الانس ولا الجن . وان فيه
لحلاوة ، وان عليه اطلاوة . وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمعذب
وانه يعلم وما يعلم .

وحري بنا ان نعلق على هذه المعلقة او بالا حري على
أول تقريرض ناله القرآن من خبراء عصره ومصره . وان
حملها المحدثون الينا عارية عن التفسير (قرب حامل فقه الى
من هو افقه) ولعمري انها شهادة حائلة ما كدته بان المشددة
ست مرات كـشهادات ست قيمة : -

١ - ان القرآن لا يشبه كلام الانس ولا كلام الجن
وليس منها في شيء . مؤداها أنه من كلام الخالق دون الخلائق
وبيان هذه الجملة المجملة ان المعروف من كلام الأنس المنتشر
سبك العبارات غير مقيدة بالاسجاع والقوافي فاذا أتوا بهالم
يلتزموا بهن متقاربة قصيرة الخطوات بخلاف كلمات الجن
التي سمعوها على السنة الكهنة كجمل جملة صغيرة الحجم كثيرة
المقاطع مقرونة بأسجاع وقوافي (تضاهي لزوم مالا يلزم)
وعليها مسحة من غرابة الالفاظ ومجانسة الحروف وغموض

المعاني - راجع كلمات سطيح الكاهن (١) ونحوه - فلو ح
الوليد الى ان هذا القرآن ليس من هذا القبيل الشبيه بكلام
الكهنة المترجمة لغة الجن والشياطين ولا هو على اساليب
كلام الناس . اوليس ملاحظاً من هذا ولا ملاحظاً من ذاك .

٢ - تم قال الوليد (ان فيه حلالة) يعني انه شهي جذاب
النفوس جلاب الميول خلاب العقول ترتاح اليه الارواح .

٣ - قال الوليد (وان عليه لطلاوة) يعني محلي بحل
الحسنات البديعية والميزات الشعرية وملبس بتزيينات الفاظ وانعام .

٤ - قال الوليد (وان اعلاه لمثمر) يعني ان القسم
المتفوق منه حاو على الحكمة العالية والثمرات المعنوية الباقية .

(١) ومما قاله ربيع الذئبي الشهير بسطيح لابن اخته عبد المسيح
حول علامات ظهور النبي العربي (ص) : يسيع عبد المسيح ، على جل
مشيح ، اقبل الى سطيح وقد اوفى على الضريح ، بعثك ملك ساسات
لارتجاج الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبدان رأى ابلا صعباً
تقود خيلاً عرباً حتى افتحمت الواد وانتشرت في البلاد ، عبد المسيح
اذا ظهرت التلاوة وغاض وادي السماوه وظهر صاحب الهراوة فليست
الشام لسطيح بشامات يملك منهم ملوك وملكات بعدد ماسقط من
الشرفات وكل ما هو آت آت : الخ ... « عن دائرة معارف القرن
العشرين »

هـ - « وان اسفله لمعذق » اي الذي يمد منه في الدرجة العادية لا يخلو ايضاً من الثمر غير ان التعبير عن هذا الثمر بالمعذق (بعين مهملة وذال معجمه او بالعكس) لابد وانه منطوق على فن من دوحة البلاغة فان الثمر يطلق غالباً على الناضج الرائج . كالليمون في موسم اقتطافه . واما المعذق المائل لعذوق الثمر في النخل او عنقود العنب فانه يطلق غالباً على ما يدخر في عذوقه ايوم لحوقه او لوضوحه وجفافه وادخاره لفصل الشتاء وآخر السنة .

ويجوز ان يفسر المعذق بالمتشعب يعني ان القسم العادي في القرآن معذق اي متشعب الوجوه والمعاني كما قال فيه الامام علي (ع) « ان القرآن جمال ذو وجوه » يريد بذلك القسم المتشابه دون المحكم الذي لا يظهر منه سوى معنى واحد وبهذه المناسبة وصف الوليد محكمات القرآن بالاعلى وسمى المتشابه منه بالاسفل اي بالنسبة الى سمو الاول وشبهه ما تخيله الاسفل بالمعذق لان عذوق الكروم وعناقيد اعنابها تتشعب على سطح الارض فهي كالاسفل بالنسبة الى الثمرات الاخرى التي تعلو الشجر .

وهذا الخبر الكبير يشير الى ان القرآن مها كان آية في
البلاغة والغرابة ففيه القسم العالي كما وفيه القسم العادي
حسب الامثلة المنقولة :

« فليس يا ارض ابلعي كآتي أبي لهب »
وكلاهما اي العالي والعادي لا يخلو من الفائدة والعائدة
الكنها يفترقان بأن العالي يحمل الفوائد حالا واستقبالا
« مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في
السماء تؤتي أكلها كل حين » .

وأما القسم الآخر فانه كالمتشابهات تحمل علوماً عالية
لابناء الأجيال الآتية كالتمر والزبيب المدخر في عذوقها
لفصلي الخريف والشتاء كما سنفصل هذا البحث اللذيذ في
محاضرة تخص اسرار التشابهات القرآنية .

٦ - قال الوليد . « وانه يعالو وما يعلا » هذه الشهادة
الاخيرة منه كالأولى اقرار بأن القرآن ذو بلاغة فائقة متفوقة
على كل كلام بليغ ومعجز لسكل من يتطلب مباراته
ومجاراته « والفضل ماشهدت به الاعداء » .
واشارة ضمنية الى انه حق ومن الحق كالأ نور « الحق

يعلو ولا يعلا عليه . ولولا اشرار القرآن المجيد بدم الوايد
واعلانه الحرب على الاسلام لجاز ان نعتبه من المؤمنين سرآ
بالقرآن الحكيم ورسوله الكريم .

الجزء الرابعة من المحاضرة السابعة

أ - الاعجاز وانباء الغيب

اسلفنا في ابحات سابقة وجوه الاعجاز في هذا القرآن
الذي هو المعجز الخالد والبرهان الجلي على صحة الاسلام
وصحة دعاوي مبلغه الأمين (ص) ومن الضروري لترخيص
اسس هذا المبحث القيم وتوضيح امره ان نشرح معنى النبأ
والنبي ومعنى الغيب والشهود وسر الاعجاز والمعجز وكيف
يعد شاهداً طبيعياً وبرهاناً جلياً يتم به الغرض في الاقتناع
والاقتناع .

وهذا الموضوع موضوع الاعجاز من ناحية
الانباء الغيبية عقيدة راسخة في البشر ولا سيما اهل الأديان
من موسوي وعيسوي ومن قبلها ومن بعدها . وربما عد
هذا الشاهد الطبيعي من المشاهدات عند المنطقي او مما يشهد

به الوجدان العام لدى الفيلسفي . والنبأ في العرف العربي خبر
 خطير يستدعي الاهتمام به بالنظر الى غايته وآثاره فهو اخص
 من مطلق الخبر وبه سمي النبي نبياً لأنه منبئ . بالخبر الخطير
 من انذار او تبشير . والتنبؤ اخبار بالغيب لأنه اظهر افراد
 الخبر الخطير واعظم مصاديق النبأ العظيم . والغيب في العرف
 العربي اسم لمعنى يقابل الحضور وضد الشهود . كما في القرآن
 (عالم الغيب والشهادة) وفي الحديث النبوي (الا فليبلغن
 الشاهد الغائب) وفي كلام الامام علي (ع) (شهود كالغيب
 وقد توسعنا في ذكر الشواهد بتفسير هذه المواد في كتاب
 « نبأ الغيب والريب » .

والشهود كناية عن اتصال الحواس بالحاضر لديها وهو المراد
 من الحضور ايضاً فالغيب كالغائب مالا يتصل به الحس وبه سمي
 المسافر غائباً وخلافه حاضراً فالنبأ الغيبي بناء على
 ما عرفت هو النبأ الذي لا يتصل بالحسوس لديك فعلاً وإن
 كان أصله محسوساً من قبل ثم غاب كالسافر او بالعكس
 كالمولود الذي كان في غيابة الرحم مجوباً عن الحواس ثم
 ولد بعد فصار محسوساً بين الناس . ورب اعمد وخت الأقيال

ورب جراثيم لأمراض كانت محجوبة أو لاتزال محجوبة عن
الحواس ثم في مستقبل الاجيال تقوى الآلات على استكشافها
فتصير غسوسة مشهودة . ورب طعام يقصر عن شمه حس
الانسان والحيوان الا النمل الذي فاق حسه على غيره فيتهدي
اليه ولا يغيب عنه ، او كحبة من خردل لا تغيب عن الغراب لحدة
بصره بينما هي غائبة عن غيره ، او صوت متحرك في دياجير
الظلام لا يغيب عن احساس الفرس لقوة سمعه بينما يغيب عن
غيره . فالغيب معنى واسع التفاوت بحسب الظروف قد يصدق
على الشيء في حال دون حال . ولاكن الذي تقصده نحن
وبصده نحاضر ونحرق انما هو الخبر الذي لا يدركه الحس
ولا يحكم به الفن

ب - انواع المغيبات

بعد اطلاعكم على معنى الغيب وتفاوت انباء الغيوب
وعلاقتها بمباحثنا حول الاعجاز القرآني حري بنا الآن ان
نشير الى انواع المغيبات القرآنية وهي ثمان .

الاول : الخبر عن الله سبحانه وصفاته الحسنی وتدبيره
الاسنى وهو الاول والاولى بالذکر وبتمام معاني الكلمة كما
هو اجل واجلى مظاهر الغيب بل هو غيب الغيوب اذا كان
الغيب بمعنى المحجوب والقرآن كله او جلله باحث عن الخالق
وصفاته وآياته وكلماته .

الثاني : الخبر عن الروح والروحانيات وملائكة الله في
عوالم الارضين والسموات وقد فصلنا القول في هذا البحث
اللطيف في « الكتاب المفتوح عن الرب والملائكة والروح » .
الثالث : الخبر عن أمم قد خلت من قبل وطوى حياتها
الزمان وادرجها في خبر كان . وكم في مواعظ القرآن آيات
بينات حول الامم الماضية في القرون الخالية .

الرابع : الخبر عن شؤون البشر في مستقبل ادوارهم
واطوارهم والأشعار بالملاحم والفتن واحداث في مستقبل
الزمان وبعد نزول الوحي كآية (ألم غلبت الروم في
ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيفعلون في بضع
سنين الخ) ٣٠ : ١ ومثل هذا منتشر في آي الذکر ذكرناها
في « الهدية المحمدية » .

الخامسة : الخبر عن شيء قريب محجوب حجبتة عن
الحواس حجب كثيفة لولاها لم تحجب ولم تتغيب كالمستور
في ظلمات الارحام وتحت اطباق الثري : « ان الله عنده علم
الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس
ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي ارض تموت ان الله
عليم خبير » ٣١ : ٣٠ . وآية النمل : « وترى الجبال تحسبها
جامدة وهي تمرر السحاب صنع الله الذي اتقن
كل شيء . ٢٧ : ٩٠ »

السادس : الخبر عما تغيب عن الابصار بسبب البعد
الشاسع ذلك البعد الذي يجعل الشيء صغيراً او مستوراً عن
ادراك الحواس المجردة عن التسليمح بالادوات والنظارات
كانباء النبي لاجرام القضاء وشؤون ما في السماء .

السابع : الخبر عن شؤون الاحياء بعد الموت في البرزخ
وحالة الارواح قبل المعاد وبعده من نعيم او جحيم والقرآن
يموج بهذه المعاني الغيبية في آياته وسوره .

الثامن : الخبر الذي لا يرشد اليه الحس من أي انسان
ولا يحكم به العقل في اي زمان لولا اخبار المخبر الصادق

كالخاق مثلما في آية الشورى « ومن آياته خلق السموات
والارض وما بث فيهن من دابة وهو على جميعهم اذا يشاء
قدير ٤٢ ٢٧ » .

تكملة : النبأ الغيبي الذي هو معجز النبي انما هو خبره
الذي لا يرشد الفن اليه ولا يدل الحس عليه مثلما في سورة
الكوثر وان شائئه (العاص) سيصبح الاثر . وان نسل النبي
يكثر ونحو ذلك مما لا مدرك له من الحس ولا من الفن ثم
يصدقه الوجود .

ومثل هذا الخبر المصدق لا بد وان يستقسي من وحي
الله وعلمه وإعلامه وعلى هذا الاصل الاصيل المسلم بين بني
الانسان في كل جيل وقبيل صحت النبوات وتفاضلت
الديانات .

اضافات على الانباء الغيبية

مرت الاشارة على انواع المغيبات القرآنية باختصار
وتقضي علينا مصلحة التأكيذ والتوضيح اضافة آيات من
انواع المغيبات على ما تقدم ذكره نقصر الآن على عشر :
١ - آية الاسراء « قل لئن اجتمعت الانس والجن على

ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم
 لبعض ظييراً ١٧ : ٨٧ فإنه في بداية امره بمكة يخبر
 العالمين بأنهم لا يسعهم الايمان بمثل هذا القرآن مهما تظاهروا
 وتناصروا وحتى اليوم ينقضي على هذا التحدي والتنبؤ
 الف وقرون صادقة في وعده وعهده ونظيره هذه الآية :
 « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من
 مثله الى قوله - فان لم تعملوا ولن تعملوا (٢٢:٢) فتنبأت
 بالنفي المؤبد او النفي المؤكد . وصدقت هذه النبوة .

٢ - آية القرعة « قد نرى قلبك في السماء فلنولينك
 قبلة ترضاها فولى وجهك شطر المسجد الحرام . . . ٢٨ : ١٣٩
 فبنى النبي الامي قبلة مسجده في يثرب على مبنى اتجاه
 المكعبة واليوم نجد هذا الحراب الموحود الذي لم يتغير عن
 وضعه المعهود مواجهاً بآدق الخطوط الجغرافية للمسجد
 الحرام في مكة بشهادة الفنانين المختصين .

٣ - آية « واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض
 خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ٢ : ٢٧

اذ تخبر عن بشر منقرض قبل خلق آدم وحواء ونسلها ولم يبق
منهم الا تحدث الملائكة عنهم .

٤ - آية يونس « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر
نورا وقدره منازل اتعلموا عدد السنين والحساب . . »
١٠ : ٥ وهي نص في تركيب ضوء الشمس من عدة اضوية مختلفة
الالوان كما قرره اسحق نيوتن الانكليزي المتوفى سنة ١٩٣٧م
بعد نزول هذا الوحي بنحو الف سنة نعم كما يجمع السهم
على سهام والتبل على نبال والنمل على نمل والرمل على رمال و...و..
كذلك يجمع الضوء على ضياء وقد انكشف في فن الفيزياء
ان الضوء بعضه احمر ماحض وبعضه اصفر ماحض وبعضه
اخضر ماحض و...و... فاذا اجتمعت هذه الالوان من
الانوار تولد نور ابيض كنور الشمس المركب من عدة
اضواء والوان وهذا القانون الطبيعي اشعر به القرآن كنبأ
غيبى دون ان يتوصل اليه النبي العربي الاى بقواعد فنية
او بشواهد حسية او بالآلات دقيقة صناعية وهذه الحكمة
السامية شرحناها في كتاب « المعارف العالية » .

٥ - آية « والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم

الثاقب « ٨٦ : ٣ فكشفت الستار عن الرجوم ونجوم مذنبات
بتفسير الامام علي (ع) لسائل عنها اذ قال « نجم يطرق
سما سماء حتى يبلغ السماء الدنيا ثم يكر راجعاً » فليس المراد
نور النجم الذي لا يختص هذا الوصف منه نجماً معيناً يهتم
القرآن بمعرفته وادراكه . حسب ما فصلناه في « الهيئة
والاسلام » .

٦ - آية « وكل في فلك يسبحون » (يسن) المشعرة
بان الأجرام السماوية كل واحد منها يسبح جارباً في فلك
خاص ومدار مخصوص وهذا شيء يوافق علم الفلك الحاضر
دون العلم الغابر .

٧ - وآية يسن « سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما
تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون » فانها صرحت قبل
الف وقرون بالزوجية العامة بين النباتات والحيوانات وبين
انواع لم تعرف من قبل وكل معاني هذه الآية السكرية
تحققت في العلوم الجديدة مخالفة للفنون القديمة .

٨ - آيات تحرك الارض كقوله سبحانه « الذي جعل لكم الارض
ذلولاً » فالذلول نوع معروف من الابل سريع السير ناعم المشي

على مناكب الارض الصعبة ويشعر هذا التشبيه حالة الارض
 في السير مع راكبها في المشي على مناكبها وقبل ان يفوه امثال
 « غاليلو » الايطالي و« كوبرنيك » الالماني بتحرك الارض
 ٩ و ١٠ - آيتي ناموس الجاذبية العامة التي شرحتها
 مفصلة في كتاب « الشريعة والطبيعة » وها « اولم يروا الى
 الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل
 شيء بصير » ٦٧ : ١٩ ثم آية « الله الذي رفع السموات
 بغير عمد ترونها . . . » ١٣ : ٢ فهي تشعر بارتفاع اجرام
 السماء والسماويات بنسب من التباعد بعواميد غير مرئية من
 خطوط الجاذبية العامة من قبل ان يفوه بذلك الاستاذ
 « نيوتن » الانكليزي وقد شرحتها في التعليل على
 « متشابه القرآن » .

ومما يليق بالاحترام ومزيد الاهتمام قوة لهجة النبي في
 تبليغ انباء الغيوب القرآنية دون ادنى ترديد او ضعف الامر
 الذي يدل بصراحة على صدقه وقوة ايمانه بعبادته حينما هو
 من عقلاء قومه المحتاطين من تطرق احتمال الكذب والخطأ
 في كلامه هذا اذا لم نقل انه اعقل الناس طراً على سبيل

التنازل في المجادلة والمجاملة . اذ لو تظاهر بالتنبؤ ولم تصدق
نبوآته لكان قد اعطى بيد خصومه اقوى سلاح فأتك ضد
مبادئه وضد اصحابه وذويه .

هل الغيب بالنسبة الى الخالق او الى الخلاق

بما انكم اطلعتم على قسمة المغيبات القرآنية على ثمانى حصص فلا
يذهبن عن علمكم الدقيق ان هذا التقسيم الوسيم انما يجري بالنسبة
الى علم البشر وما يغيب عنه او يحضر لديه . واما بالنسبة
الى الخالق عز وجل فلا يغيب عن علمه أي شيء في الارض
او في السماء ولا يخفى عليه أي امر من امور الماضي والحال
والاستقبال .

ولا يشذ عن محيط علمه خبر خطير ولا موجود صغير
او كبير « الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » فكل شيء
محسوس او غير محسوس حاضر لديه سبحانه وعلمه به حضوري
لا حصولي ولا تدريجي .

كعلم نفسنا بنفسها ولا مثال للنفس لديها حصلا
هذا هو البرهان الرباني الجملي أو السبب الحقيقي

محيط بجميع شؤون الخلائق » وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها
الا هو » فهو « عالم الغيب والشهادة فلا يطلع على غيبه أحد
الا من ارتضى من رسول » فلا بد من الاستناد في انباء
الغيب الى علام الغيوب .

فاذا عرفت حصص النعميات الثمان ووجودها بأسرها في
سور القرآن ، ثبت لديك اعجازه وتفوقه . كما وثبت بذلك
نبوة محمد (ص) السفير المبالغه وصدقه لان الاخبار عن الغيب
الذي لا ترشد الفنون اليه ولا تدل الحواس عليه ثم يصدقه
الوجود ، ذلك امر فوق طوق البشر ومختص بخالقه او من
شاء الهامه من خلائقه .

ومن المعلوم لدى العموم ان الانسان محصورة علومه من
مداركه المعلومه فالحس مرشد في الاول والآخر والعقل
دليله في الباطن والظاهر والاستنتاج من الروية والرؤية معلمه
في مدرسة الحياة . فاذا فاه البشر بعلم او خبر لا يستند فيهما
لا الى مدرك حسي ولا الى مدرك مدرسي فلا بد وان يكون

وحيا والهاماً على الطريقة التي اوضحناها في ابحاث الوحي
وغوامضه من كتاب « وادي السلام » (١)

ومتى تم اتصال محمد (ص) وكلامه الى ربه في وحيه
والهامه تم كل شيء وتمت معه الحجة والمحجة في اعجاز
القرآن وتفوقه على جميع الاديان في البيان والبرهان .

الجزء الخامس من المحاضرة السابعة

أ- الجذبات الروحية منشأ اعجاز القرآن

هذه دعوى لها الشواهد الوافرة بينما يستقرها القراء لأول
نظرة فاذا القارئ الكريم رأى جملة : بسم الله الرحمن الرحيم
وترجمتها (بنام خداوند بخشنده مهربان) ورأى جملة (ابدأ
بسمات الرب اللطيف الرؤوف) يجد جذبة روحية
فيما نسميه « البسملة » اعنى الجملة الاولى دون
الاخيرتين . بينما المعنى في الجميع واحد ويشبهه هذا التمثيل
تقريباً بتمثيل معشوقك بصورته (الفوتوغرافية) او صورته
المجسمة او اقتران المعشوق بمن يشابهه في الخلق والخلق فترى
من معشوقك الحقيقي جذبة روحية لاتدانيها جذبات

(١) كتاب وادي السلام في عقائد الاسلام كتاب مخطوط المؤلف

الامثلة الاخرى مع صدق التمثيل وكال المشابهة (ففي الحمية
معنى ليس في الغنب) .

ب - سر الجذبات الروحية في آي القرآن

اوضحنا فيما سبق ان للقرآن ميزات قيمة قد لا تحصى
ولا تحصر وليست باسمها من دلائل الاعجاز بل اعجاز
القرآن ظاهر في بضعة وجوه ليس غير كالبلغة والجامعية
والانباء الغيبية والجذبات الروحية وهذه النواحي
وبالاخص جذبته الروحية ننتيجة كونه كلام الرب وحده
بما ان الكلام مرتبة متنازلة من روحية المتكلم وجذبة
واحدة من جذباته حتى ان الاصغاء الحقيقي الى قول قائل
يجعل المصغي فانياً في روح قائله وروحيته. وكما ان ناظر
وجهه الى المرأة قد يعتني في تعمقه الى حد لا يحس بالمرأة
ولا بالرأي اذا اشغلته الصورة المرئية عنها كذلك المسموع .
وهذه الجذبات طبيعية وضرورية وتقدر بمقياس قوة الفاعل
اي القائل وقدر استعداد القابل اي السامع وكما كان قوله
الذ كان انفذ ، وكما كان السامع ذا توجه وتنبيه اكثر كانت
جذبة القول في روحياته اقوى على حد قول الشاعر

لوتكن هذه القلوب حديداً فلذيل الألفاظ مغناطيس . .
وقال العارف الآخر :

الكل اشارة وانت معنى يا من هو للقلوب مغناطيس
و . و . فالرب اقوى تأثيراً من اى مغناطيس
للروح وكل جاذب قد استفاد جاذبيته من ربه
فالرب اولى بان يكون جذاباً وان يكون كلامه جذاباً
للفوس . فاذا كان الرب جاذب النفوس بالدرجة الاولى
والعليا ، وكان الكلام مرتبة من مراتب وجود المتكلم
وتنزل روحيته نحو السامعين فالمصغى مجذوب طبعاً له على
قدر قوة جذب القائل وقدر استعداد القابل ونتيجة هذه
المقدمة الضرورية ضرورة الجذبة الروحية في كلام الله المجيد
على قدر استعداد السامعين . ولذلك كان النبي (ص) مجذوباً
لهذا الكلام اكثر من ساير الانام حتى كان يغشاه من نزول
الوحي عليه حالات غريبة والسلاخ من عالمه الاعتيادي
ودهشة الدهول وما هو شبيهه بالموت او الاغماء من شدة
انجذابه وجذب القائل للقابل . . ثم كذلك سيد الاولياء
علي (ع) والائمة والصحابه الصالحون حسب درجاتهم . بل لسيد
الرسل وامثاله جذبتان جذبة الكلام وجذبة المتكلم وهذه

اقوى اذ هي المنشأ والمثار الاولى وجذبة القول رشيح من
آثار جذبة القائل . .

هذه نواة اعجاز القرآن عندي فوق سائر منايه العليا
حسبما اخترنا واخترنا من آثار كونه كلام الرب (سبحانه)
ولذلك ترى القرآن يتفنن في قصة واحدة كقصة موسى
وتعبانه فيقصها اطواراً واشكالاً وكل طور منها واجد منية
الجذب والعبقرية كي لا يتوهم الناس في ان الاعجاز فيها وليد
السبك والاسلوب او هو وليد اللفظ والتركيب .

وبالجملة للجملة الكلامية جذبتان : جذبة المتكلم في
حد ذاته وجذبة الكلام في حد ذاته ثم قد تجتمعان وقد
تفترقان وهما في مثل القرآن المجيد مجموعتان جاذبتان على
اقصى الحد ولكن اذا صادفتا قلباً قابلاً كقلوب الانبياء
والاولياء ثم الأمل فالأمل . بخلاف ما لو صادفتا قلباً
قاسية وقرائح مقرونة بالجهالة والجمود او بسوء الخلق، كمرآة
صدية وغير صافية فعندئذ لا يظهر اثر للجذب كمن قرب
الخشب من المغناطيس (فهي قد قست كالحجارة أو اشد
قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما

يهبط من خشية الله) فترى الآيات التي تليت على امثال ابي ذر
زادتهم ايماناً وقد تليت على امثال ابي جهل فزادتهم طغياناً
ورجزاً على رجز كالنور يسطعم على ارض بيضاء فينيرجوانها
وعلى ارض سوداء فيذهب كأن لم يكن ، او الغيث ينزل
على تربة طيبة فتنبث الرياحين والازهار وينزل على السبخة
فيذهب كأن لم يكن . كذلك الوحي الانبيائي واثره في
النفوس .

والخلاصة : ان النفوس الزاكية اذا اتصلت بأي الذكر
الحكيم وجدت جذبة دونهما جذب المغناطيس ولذة دونهما
كل لذة ذات بهجة للنفوس ، ذلك الامر الذي شعر به النجاشي
ملك الحبوش وشعر بمثله واكثر منه زعماء الأدب من
العرب فأسلموا من اجلها واحس به المؤمنون حتى اليوم
واحس بشيء منه ادباء الفرس ونصارى العرب وعظماء الافرنج
وشعر بشيء منه مشركة العرب من قبل وحتى وليدهم الذي
قال (ليس هذا من كلام الانس ولا من كلام الجن وان في
كلامه لحلاوة وان عليه لطاوة وان اعلامه لثمر وان اسفله لمعذق
وهو يعلم وما يعلم) كما شرحن هذه السببكية منه في غرابة

اسلوب القرآن وحتى الجأوه أخيراً ان يقول بأنه سحر ساحر
لا نظم شاعر الا ترون انه يفرق بين المرء وزوجه وبين الوالد
والولد ، لما وجدته كلاماً جذاباً للنفوس فوق النظم ، فوق
النثر . فوق العلم العادي . فوق الاقتدار الاعتيادي .

وبما ان الجذبة الروحية هي من اركان الاعجاز القرآني
فهي موجودة في كل سورة منه وفي جملة الآيات والسور جميعاً
ومجموعاً فيصح التحدي بسورة من مثله وبعشر سور
وبالمجموع . كما يصح القول بأن القرآن كله معجزة واحدة
ومجموعة المعجزات وهن باقيات وصالحات للتحدي في كل
عصر ومصر .

جـ - ما هو كهرباء القلوب عامة

ملحق دفاعي عن الاعجاز القرآني

قد يثبت اعداء القرآن بين المؤمنين به شكوكا بقصد
ايقاع التزلزل في بناية العقيدة في القرآن وروعته يهملون
في آذان البعض . ان هذا القرآن موضع اعجاب القاريء
والسامع من صيقل الزمان لآياته في المسامع وشدة الالفة

بهذا السبك والروي او من دهشة الاستماع والقلوب .
بالقصص العجيبة والمبالغات الغريبة والحروف المقطعة في
فوائح السور . او بأن الكتاب عربي النظم والاسلوب عربي
الكلمات والحروف فلا يستبين الاعجاب منه والاعجاز فيه
إلا لدى العرب وعرفاء ابناء الضاد فلا يكون حجة لغير العرب
ولا لغير المسلمين ولا لغير المؤلفين لحلاوة تلاوته .

والجواب عن هذه الشبهات المتشعبة بدافع الشغب
الفكري وهو امر واحد بسيط نسميه بالجاذبة
الروحية او الروعة الالهية وشرح هذا اللفظ او الرمز ان
المتوجه نحو آي الذكر الحكيم من شتى الأمم وطوائف
العرب والعجم يجد بلا ريب في استماع القرآن لذة وحلاوة .
وروعة وطلاوة ، كانت معه وفيه من أيام صاحب الدعوة الى
العصور الوسطى والى يومنا هذا ، والى ما شاء الله من الدهر
زاهية نامية نحو اربعة عشر قرناً فعندما بعث الرسول الامين
بكتابه الكريم وتبلبلت السنة مخالفه فيه استفتوا كبار
بلغائهم وباقة فصحاءهم وشعرائهم فقال الوليد بعد استمهاله
ثلاثه ايام (اني فكرت فيه ملياً فلم اجده شعراً ولا نثرأ

الا ان يكون سحراً .. الى آخره .

وغرض الوليد من كلامه نفي التأثير النثري . والجذبة
الشعرية عنه وإنما التأثير الفائق الرائق الذي شعر الوليد به
بصورة فوق العادة فأعجز الوليد عن تفسيره الا بأن يكون
سحراً نظراً الى سرعة تأثير السحر وتفوقه على كل مؤثر
إعتيادي وهكذا أثر القرآن أثره البليغ في جذب ملك الحبشة
واسرائيل وأثر في جذب قريش وصناديدها وأثر في ملوك
العرب وشيوخ القبائل وملايين الألوف في الامم من
طوائف العرب والعجم وقد قصصنا في المحاضرة الرابعة عليكم
بعض شهادات عظماء الافرنج وادباء العرب المسيحيين من
هذا الجيل وما قبله يعترفون بعظيم تأثير القرآن في النفوس
وتكهرب العقول من جذباته الروحية واصبح الأثر في اجواء
كرتنا الارضية يتكيف اليوم بانغام موسيقية لطيفة في
تجويد القرآن من مشارق الارض ومغاربها بآلات الاذاعة
والراديو صباحاً ومساءً ونسمع تهافت الناس على الاذاعات
حتى في المقاهي والملاهي لاستماع القرآن العظيم التذاذاً
واجتذاباً لهم من أي الذكرا الحكيم وفيهم العربي الاسرائيلي

والعربي المسيحي والافرنجج المستشرقون فضلا عن تهافت
المسلمين تلاوة واستماعا. اذا فليست الجذبات الروحية في
آي القرآن وليدة صيقة الزمان حينما انجذب اليها الوليد وغير
الوليد في بداءة امره وطليعة عصره وليست الجذبات القرآنية
موقوفة على ابناء الضاد والعرب ولا بالمؤمنين به والمسلمين
حينما نجد آلاف الطوائف والفرق في تهافت مستمر على السماع
والاستماع والانتفاع ويقضي الانصاف على من تجنب الجدل
والاعتساف ان يدعن بأن الآية القرآنية جذابة لمن تأمل فيها
او ألقى السمع وهو شهيد كما سمعت في الجهة الثانية من هذه
المحاضرة في تشریح الآيتين على الحك وستأتي مقابلة آي
القرآن بما لفته الأعداء الأدياء امثال مسيلمة والباب والبهاء
وهذا الامر الذوقي اكبر برهان حسي يحتم عليك بعد تصديق
التجارب المتوالية ان تعرف وتعرف بانتهاء هذا الكلام
الجمالي وجذبه القوي الى العالم الرباني وتأثيره الروحي فوق
المستوى البشري . وبطبيعة الحال لا يتأتى مثل هذا في اي
كلام آخر مسند الى البشر ولنا على صحة هذا الرأي الوف
الدلائل والشواهد لا يسعنا ايرادها في هذا المختصر .

الجامعية واعجاز القرآن

كثير الذاهبون الى توجيه اعجاز الفرقان الحكيم من اجل انه جامع لكل كمال مرغوب . . تميل اليه القلوب . . فهو وحي جامع لمزايا البلاغة والفصاحة ومحاسن الألفاظ والمعاني ومرونة البيان وتقننه في نواحي الانشاء وحسن الاداء والشؤون الروحية والخواج النفسية ولطائف الاسجاع وجواذب الطباع من قصص وامثال وحكم واحكام وآداب ومواعظ . كما وصفه سيد البلغاء امير المؤمنين علي (ع) في سبائكه المروية عن نهج البلاغة وأوردنا أمودجاً منها فيما سبق . فتجد من ذلك الفقهاء يفزعون اليه والخطباء كالادباء يعتمدون عليه وهو المرجع للقاضي والمحامي والمرشد والمربي. والمتكلم والفلسفي . .

ومن هذه المزايا والميزات اصبح القرآن كهر بآه القلوب. وجذاب الارواح والنفوس . . وكعبة القصاد والرواد والوراد وحتى بلغ في جامعيته لأشتات الميول وأصناف العلوم انهم استخرجوا

منه البحور الشعرية وانواع الالخان والنغم واسرار الطب
والطبيعة والمسائل الرياضية والفلكية والانباء الغيبية وتواريخ
الحوادث وأصول الحكمة وغير ذلك مما اشرنا اليه أو نشير
ومما غاب عنه الفكر ذهولا وهو حسير .

وجميع هذه الكلمات مجموعة فيما بلغه ذلك العربي الأبي .
ربيب البادية . . وخريج مدرسة الأخبية . هذا هو الامر
المعجز قطعاً والمختار طبعاً .

خاتمة المحاضرة السابعة

الصرفه من النظريات السبعة

افردنا القول بالصرفه عن النظريات الست من وجوه
اعجاز القرآن لتباعد بين هذي وتلك ولضعف الحججة والمحجة
معاً ولولا نسبة هذا الرأي الى علامتنا الشريف المرتضى علي
بن احمد المتوفي سنة ٤٣٦هـ لما صرفنا الوقت الثمين في نقله
واجتثاث اصله غير ان الشريف طاب ثراه معروف بقوة الجدل
والتحول في حوار المناظرين الى هنا وهناك فلا نعلم انه هل
بقي ثابتاً علي هذه النظرية كعقيدة راسخة او تحول ؟

نعم جنح اناس الى القول للاعجاز لسبب منعة الهية
ولصرف الصرفة وارادوا من الصرفة ان الله سبحانه كما قد
يلهم العباد احياناً ، كذلك يصرف المهمم والافكار عن ان يباري
القرآن احد . مذهب اعوج واعرج ، أو كما قيل حرفة عاجز
وحجة كسول ، لا يليق اسناده الى علمائنا الفحول لأن
الله عز شأنه فياض عدل ذو رأفة وفضل فهو أرفع شأنًا من
ان يأمر الانس والجن بأن يباروا القرآن ويرضى منهم بمباراة
بعضه لو تعذر عليهم كله ثم يعترض سبيلهم ويصرف منهم
القوة والهمة ويمنعهم من أن يأتوا بما أراد منهم .
الظاهر من ظواهر الآيات ان القرآن في ذاته متعال
بميزانه حائز ارقى تليزات وابلغ المعجزات وينبغي ان يكون
كذلك ان اريد مدحه وفضله .

اما لو حصرنا وجه الاعجاز في نقطة الصرفة فيتم حتى
مع كونه كلاماً مبذولاً مرذولاً للغاية . ففي الوجوه الوجيهة
السالفة غنية وكفاية والله ولي الهداية .

معرض المعارضات القرآنية

لقد توالى من نبي الرحمة ومنقذ الامة محمد (ص) وقرآنه الصرخة بعد الصرخة والنداء بعد النداء في أندية الحجاز وأم قراها في طلب المعارضة والمبارزة والمباراة بوحى المصطفى وقرآنه ثم تنازل وتساهل طالبا اتيان سورة من مثله ولم يستجيبوا نداءه وصرخته وهم اهل النكد والبصيرة في الشعر والنثر واهل الفصاحة والبلاغة في قریش .

ولقد بلغ عجز اعداء القرآن في عصره الى حد اخذوا يتحججون لديه بحجج واهية وما ادر الكماهية من قبيل قولهم (قالوا لو تأتينا بقرآن غير هذا أو تبدله قل ليس لي ان أبدله من تلقاء نفسي) نعم صار الوحي يتبدل في الفاظه وصيغته . . في احكامه وقصصه ، وهم مع ذلك عجزوا عن الاتيان بمثله .

نماذج منشآت المتنبين

وقد احتذى اثر النبي المصطفى (ص) بعض الدجالين

في عصره . وبعده في ادعاء النبوة وتلقيق الاسجاع والقوافي
في الكلام يومهمون البسطاء أن سبائكمهم المهلهلة وحي السماء
مثل طليحة الأسدي وأسود العنسي وسجاح النيمية ومسيمة
دجال اليمامة .

١ - نموذج من منشآت مسيمة

فمن « وحي » مسيمة الذي احتذى فيه حذو القرآن قوله :
« القليل ما القليل وما ادراك ما القليل له خرطوم طويل وذنب
وثيل وان ذلك من خلق ربنا القليل » وليت شعري ماهو
المغزى من هذه الجمل الجوفاء . .

ومن « سورة » : « والليل الأسحيم . والذب الأدلم .
والجذع الأزلهم . ما انتهكت أسيد من محرم » .
ومن « سورة » : « والليل الدامس . والذئب الهامس .
ماقطعت أسيد من رطب ولا يابس » .

ومن « سورة » : « والشاة السوداء والبن الأبيض ،
انه لعجب محض ، وقد حرم المذق فما ليكم
لا تنجعون) .

من «سوره» على غرار الذاريات ذروا : «والمبذرات زرعاً ،
والحاصدات حصداً والذاريات قحاً ، والطاحنات طحناً ،
والخابرات خبراً ، والشاردات ثرداً ، واللاقيات لقماً ، إهالة
وسمناً » .

ومن «سوره» على ضوء سورة الشمس ومعارضتها بالمثل :
«والشمس وضحاها ، في ضوئها ومجلاها ، والليل اذا
عداها ، يطلبها ليغشاها ، ادركها حتى اتاها ، وأطقاً نورها
فجـاها » .

والبلاء يسخرون بهذه الجمل الجوفاء الفارغة من كل
حكمة أو علم ومن كل موعظة أو حكم .

٢ - نموذج من كلام سجاح المتنبية

ومن اقتفوا أثر النبي في تنظيم الكلام على اسلوب
فرقانه في الاسجاع والقوافي سجاح بنت الحارث التميمية التي
ادعت النبوة بعد وفاة رسول الله (ص) فمن قولها المزعوم انه
الوحي : (أعدوا الركاب واستعدوا الانهاب ثم اغيروا على
الرباب فليس دونهم حجاب) . ولما توجهت لحرب مسيلمة

دجال اليمامة قالت : (عليكم باليمامة ، ذوفوا ذيف الحمامة ،
 فانها غزوة صرامة ، لا يلحقكم بعدها ملامة) . ولما احتال
 عليها مسيلمة واختلابها قال لها (هل لك ان أتزوجك وأكل
 بقوي وقومك العرب ، فرضيت به زوجاً فأقام عندها ثلاثاً
 ثم انصرفت عنه فقال لها قومها ما صدقك ؟ فعادت الى
 مسيلمة تطالبه بفرض صداق فأمر شيث بن ربيعي ان يؤذن
 بين الأقوام ان صداقها رضع الصلاتين - الفجر والعشاء -
 مما جاء به محمد (ص) . ولما قتل مسيلمة اسلمت هذه وانتقلت
 الى البصرة وماتت بها سنة ٥٥ هـ ٦٧٥ م وصلى عليها بسمرة
 بن جندب . « عن دائرة معارف القرن العشرين »

٣ - نموذج من كلام اسود العنسي (١)

ومن المحتزين حذو نبينا الأمين في تسجيع السلام

(١) واسمه عنبلة من مذحج قام يدعى النبوة أيام حجة الوداع
 ولم تدم امارته أربعة أشهر أستولى خلاها على البحرين ونجران
 وبعض بلاد اليمن وشواطئ الخليج كالأحساء وغيرها وقتله فيروز
 في اليمن بمساعدة زوجته آزاد ودفعوا شره عن المسلمين وأتت بشائر
 قتله الى مدينة الرسول أيام وفاته (ص) وكان اول من فتح باب
 الردة بالعرب على رسول الله (عن دائرة معارف البسياني)

تمهيداً لنبوته اسود العنسي ، ومن سوره التي يباري بها
«سورة» الاعلى قال : (سبح اسم ربك الاعلى الذي يسر على
الجبلى ، فاخرج منها نسمة تسمى ، من بين اظلال
وحشى ، فمنهم من يموت ويدس فى الثرى ، ومنهم من
يعيش ويبقى) .

وانت ترى انها كأشباهاها صفر من الحكمة العالية إلا
الجملة الاولى (سبح اسم ربك الاعلى) .

ويلوح من تقول المؤرخين من المسلمين وغير المسلمين
وسخريتهم بهذه الجمل الجوفاء ان اصحابها كانوا يمكن من
الانحطاط الفكرى والاخلاقي . أما أولو الاقلام المؤلفة
وذوي العباثر المحركة فكأنهم لم ينزلوا الى ميدان المعارضة
لعلمهم بصعوبة المعارضة وانها تبوء بالفشل لاحالة وحفظوا
كرامتهم من التسرع الى حركات صديانية .

خلاصة الحركات من الاوائل والاواخر

خلاصة القول ان هذا الفرقان الجامع والبرهان اللامع
دعى الامم من عرب وعجم الى ميدان المعارضة والمبارزة

وان يأتوا بمثله اذا هم يزعمون كونه قول بشر .
فما عارضه احد من ذكر او اثنى الا افتضح وفشل في
مسمعاه ومن عارضه في بدء امره بمكة هند زوجة عمه ابي لهب
بعد تبليغ سورة التبت يدا ابي لهب وتب.. الخ..) فولوات
ام جميل وارعدت وازبدت ثم انشأت او انشدت (محمداً ايدياً
ودينه قلينا) الى قولها (ماصمنا ولا صلينا) غير انها اتت بشيء
ليس بشيء وفاهت بالفاهي التافه الذي تعافه الاذواق، ولم تكن
متفهمة غير ان التاريخ سجل من المعارضين المتذممين ستة ثلاثة
من الاوائل وثلاثة من الاواخر . اما الاوائل فقد ذكرناهم
ذكرهم وانشاهم والنماذج مما اتوا به . بقى الاواخر الذين خلقتهم
الاغراض الاستعمارية في سنوات متقاربة من قرن افتتاح
المشورات في حل المسألة الشرقية على المائدة المستديرة وبث
الدسائس ومشارات الثورات في الممالك الاسلامية وهؤلاء
الثلاثة هم الباب في ايوان والبهاء في تركيا والقادياني في الهند
وربما بعثوا من حيث لا يشعرون وخدموا غايات اعدائهم من
حيث لا يعلمون .

نموذج من كلام الباب علي محمد الشيرازي (١)

لقد اتى الباب بما ادهش الالباب بين المهاذير الآخرين حتى قيل انه اخذ الرقم القياسي في السخافة واعجز حتى من به خبله. فمن كلامه « قل كل ليقولون لا اله الا الذي آمنت به كل الحلاقين قل كل يقولون لا اله الا الذي آمنت به كل السواقين. قل كل يقولون لا اله الا الذي آمنت به كل اللهامون » يريد باللهامين (بالهاء) اللحامين (وبالحاء) وهكذا يعدد المهن اكثر من عشر صحائف وفيها من غلط الانشاء والاملاء والصرف والنحو مالا يحصر (٢)

(١) ولد هذا المتنبي في شيراز وتحول منها الى كربلا في التاسعة عشر من عمره. يدرس هناك في حوزة زعم الكشفية السيد كاظم بن قاسم الرشتي المتوفي سنة ١٢٦٢. ثم قام بالدعوة الى نفسه زاعماً انه الباب الى المهدي المنتظر (ع) وسفيراً من ناحيته المقدسة ولذلك اشتهر بالباب والباب في اصطلاح الحديثين هو الوسيط بين الامام والرعية. ثم ترقى في دعونه فزعم انه المهدي الموعود نفسه وعارضته الحكومة الايرانية وعلمائها حرياً وادبياً فتحولت دعوته الى التنبيء والتأله في كتبه التي يزعم انها موحاة اليه فاعدمه شنقاً ناصر الدين قاجار شاه ايران في ذلك حين

(٢) وقد شاع في اندية الخبراء ان النسخ الاولى من ~~كتب~~ الباب والبهاء كالبیان والايقان والاقدس وغيرها كانت مشحونة =

« ولعمري اول من سجد لي محمد ثم علي ثم الذين هم
 شهداء من بعده ثم ابواب الهدى اولئك الذين سبقوا الى
 امر ربهم واولئك هم الفائزون . وان اول ذلك الامر اول
 يوم القيامة كل على الله يعرضون . ان الذين عرضوا علي
 وهم كانوا بالله وآياته مؤمنين . فاولئك اصحاب الرضوان
 قد جزيئناهم في السكتاب باحسن مما اكتبست ايديهم وكذلك
 نجزي المخلصين . وان الذين هم عرضوا علي وهم بي وآيتي
 لا يؤمنون . حسبهم ما اكتبست ايديهم وما هم يشهدون علي
 انفسهم ذلك ما قد شهد الله عليهم وجعلناهم واعمالهم هباء
 ذلك ما قد نزلنا من قبل في القرآن لعلمكم توقنون . كل
 شيء هالك الا وجهه كذلك يظهر الله صدق ما نزل لعلمكم
 تتذكرون . وانا قد نزلنا من قبل في القرآن كلمة فيها كل
 امر لعلمكم بها تتقون فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون
 وانا قد نزلنا من قبل انه لا اله الا انا اياي فاتقون . لتوقنن

= باغلاط في الانشاء والاملاء ومن حيث اللفظ والصرف والنحو
 وحق الطبقات الاولى منها اسكننا الادباء الذين اتصلوا بهم صقلوا
 عبائر كتبهم واصلاحوا مافسد فيها من تلك النواحي وهي مع ذلك
 معروضة للنقد والرد .

ان لم يكن اولا قبلي ولا آخرا بعدي ولا ظاهراً غيري
ولا باطناً دوني ولا آية الا من عندي كذلك يمحص الله الناس
كلهم اجمعون (١) . ولعمري ان امر الله في حقي اعجب من
امر محمد رسول الله من قبل لو انتم فيه تتفكرون . قل
انه ربي في العرب ثم من بعد اربعين سنة قد نزل الله عليه
الآيات وجعله رسوله الى العالمين . قل اني ربيت في الاعجمين
وقد نزل الله علي من بعد ما قد قد قضى من عمري خمسة بعد
عشرين سنة آيات التي كل عندها يعجزون (٢) وقد قضى يوم

(١) هكذا بالنسخة الاصلية والنسخ القديمة والمطبوعة «بانواو»
خلافاً لقواعد النحو والعربية وكتير مثل هذه الاغلاط في منشاته ولما
غابه الادباء اعتذر بان اللغة العربية كانت مقيدة بقواعد الصرف
والنحو وانا اعطيتهما الحرية التامة وتمسك بهذا العذر خلفاؤه
وحلفاؤه .

(٢) ينص في هذه الجملة بان البشر كلهم يعجزون عن الاتيان
بآية من مثل آياته وله كلام آخر في مواضع اخر يصرح بان الانس
والجن اذا اجتمعوا لا يأتون بحرف من حروف «البيان» الذي
هو اسم لمجموعة «وحيه» الكبرى وهو في هذه الجملة وغيرها من
الجل يعترف بان قرآن محمد وحى انزله الله عليه فهو محجوج
بهذه التصريحات .

الدين وانا بما قد وعدنا من قبل في القرآن انا كنا نستنسخ
 ما كنتم به تعملون . نريد ان نوفي به فلتقرئن آية الاولى ٣٦٠
 بالليل والنهار فاما خير عن كل الاعمال انتم بها توقنون . الخ »
 ومما قال فهو حروف المقطعات في قرآن المجيد الذي
 لا كلف الله عباده بتأويله ولا تحتاج له كتاب الذي انزله
 الله لتبين كل شيء . ولا رطب ولا يابس الا فيه الله سبحانه
 تعالى وصف هذا الكتاب بالبيان ولاظهار كل مقاصد
 ومطالب بكلام بليغ الخ »

تعليق على الباب و « وحيه ! »

لم يلق في هذه العصور كتاب او خطاب « من الردود
 والاعتراض ما لقيه علي محمد الباب وكلماته المزعومة « وحيه »
 عليه . ومن ظريف ما سمعناه في مقام المباراة له والمعارضة
 سبيكة بعض الايرانيين حاسبا انه قد أتى بافصح من كلام
 الباب وتأييده البهاء وهذا نصها :

كيف يقول الباب لربات الحجال والحجاب « انتم
 انكن قد خلقن لأنفسكن ولأولادكن » ثم لم يقل
 ولبعولكن ولايساوي بينهن انه كان من المعتوهين .

وكيف يحرم حبس الناس حتى في الافلاس وفيهم الجناة
 المستحقون للعذاب المبين ولم يميز بين المفلسين والمستفلسين -
 ان الذين يغسلون ثيابهم ولا يجدون ما يلبسون او ائتمهم
 المفلسون ، وقال الذين افلسوا للذين استفلسوا لولا ان
 تعطونا الرهون بدل الديون فسوف نعتذبكم عذاباً اليماً . والله
 الحجة من هيبة الحاككم وهيمنة المحاكم وقد جعل لنا ولاية
 وسلطاناً . ونخرج أمام المحاكم ميثاقاً غليظاً فما بالكم كيف
 تأكلون اموال الناس ظالماً وعدواناً وتجادلونهم بالسيئة بدل
 الحسنة وتقابلونهم زوراً وبهتاناً . . الخ

نموذج من كلام البهاء (١)

نقلا عن صفحات كتابه المسمى (الاقدس)

المطبوع ببغداد سنة ١٣٤٩ الموافق سنة ١٩٣١ م

في مطبعة الآداب

« من الناس من غرته العلوم وبها منع عن اسم القيوم

(١) البهاء رجل ايراني مازندراني اسمه ميرزا حسين علي ولقبه بهاء
 الدين فكان شيعه علي محمد يخفف هذا اللقب حينما يتأديه (بهاء) ثم
 اتباعه مروه (بهاء الله) وعار ولده عباس افندي يلقب نفسه =

واذا سمع صوت النعال من خلفه يرى نفسه اكبر من المردود
قل ابن هو يا ايها المردود تالله انه لفي اسفل الجحيم» ص ١٤
« لا تخلقوا رؤوسكم قد زينها الله بالشعر وفي ذلك لآيات
لمن ينظر الى مقتضيات الطبيعة من لدن مالك البرية انه هو
العزيز الحكيم » ص ١٥ .

حكم الله لكل زان وزانية دية مسلمة الى بيت العدل
وهي تسعة مثاقيل من الذهب . وان عاد مرة اخرى عودوا
بضعف الجزاء هذا ما حكم به مالك الاسماء في الأولى ، وفي
الأخرى قدر لها عذاب مهين » ص ١٧ .

وما قال في اباحة الخمر ص ١٧ .

« اياكم ان تمنعكم سبحات الجلال عن زوال هذا
السلسال خذوا اقداح الفلاح في هذا الصباح بأسم فائق

== (عبد البهاء) ويرمز في توقيعه (ع . ع) يعني عباس عبدالبهاء
وبعد ان قتل ناصر الدين شاه الباب واصحابه نجى ميرزا حسن علي
بشفاعة سرية فتبدل شنته الى سوقه للاراضي العثمانية فأشخصوه الى
عكا وهي من المدن الفلسطينية الساحلية وبقي هناك حتى وفاته وتوارى
هؤلاء وآثارهم مشروحة في كتب عربية مثل (الخراب) و (مفتاح باب
الابواب) وفي كتب فارسية مثل (كشف الخليل) و (فلسفة نيكو)

الاصباح ثم اشربوا بذكره العزيز المديع »
ولا فلسفة في كلماتها سوى الأسجاع .

« من احرق بيته متمعداً فاحرقوه ومن قتل نفساً عامداً
فاقتلوه، خذوا سنن الله بآيادي القدرة والاقتدار ثم اتركوا
سنن الجاهلين وان تحكموا لهما حبساً أبدياً لا بأس عليكم في
الكتاب انه هو الحاكم على ما يريد » ص ١٩ .

وقد ناقض البهاء هنا استاذة الباب الذي قال في بيانه
من يحبس انساناً غيره ولو ليلة حرمت عليه زوجته
مؤبداً . . الى آخر مجازاته .

« قد كتب الله عليكم النكاح اياكم ان تجاوزوا عن
الاثنين والذي اقتنع بواحدة من الاماء راحة نفسه ونفسها
ومن اتخذ بكرةً لخدمته لا بأس عليه » ص ١٩ .

« لا تحقق الصهار إلا بالامهار قد قدر للمدني تسعة عشر
مثقلاً من الذهب الابريز والقروي من الفضة ومن اراد
الزيادة حرم عليه ان يتجاوز عن ٩٥ مثقلاً كذلك كان
الامر بالعز مسطوراً » ص ١٩ .

يدعي البهاء المساواة التامة في البشر وهنا يفرق في مهور

الأزواج بين المدني والقروي .

قال في نسخ الصلوات :

« قد كتب عليكم الصلاة تسع ركعات لله منزل الآيات حين الزوال وفي البكور والآصال وعفونا عن عدة أخرى أمراً في كتاب الله انه هو الامر المقتدر المختار » . ص ٤

« قد نزلت في صلاة الميت ستة تكبيرات من الله منزل الآيات والذي عنده علم القراءة له ان يقرأ ما نزل قبلها والا عفى الله عنه أنه هو العزيز الغفار » . ص ٥

« لا يبطل الشعر صلواتكم ولا مانع عن الروح مثل العظام وغيرها » . ص ٥

« ان البسوا السمرور كما تلبسون الخز والسنباج وما دونها انه ما نهى في الفرقان ولا يكن اشتبه على العلماء انه هو العزيز العلام » . ص ٥

« ومن لم يجد الماء يذكر خمس مرات بسم الله الا طهر الا طهر ثم يشرع في العمل هذا ما حكم به مولى العالمين » . ص ٦
« كتب عليكم الصلاة فرادى قد رفع حكم الجماعة الا في صلاة الميت انه هو الامر الحكيم » . ص ٦

تمودج من « وحي » القادياني (١)

المسمى بـ « حمامة البشرى »

ـ فاهمني ربي مبشراً بفضل من عنده وقال أنك من المنصورين . وقال يا أحمد بارك الله فيك مارميت اذ رميت ولـكن الله رمى . لتتذر قوماً ما انذر آباؤهم ولتستبين سبيل المجرمين وقال قل ان افتريته فعلى اجرامي هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله لا مبدل لكلمات الله وانا كفيناك المستهزئين وقال انت على بينة من ربك رحمة من عنده وما انت بفضله من مجانين . ويخوفونك من دونه انك بأعيننا سميتك المتوكل يحمدك الله من عرشه ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى ويمكرون

(١) القادياني : اسم غلام احمد ومعناه بالفارسية « عبد احمد »

أصله من بلخ من قرية « منزار شريف » تحول آباؤه قبل قرون الى شمال الهند حيث بها « قاديان » القرية التي يمتد خط الطول منها غرباً الى بغداد وقد درس العربية والعلوم الدينية على العلماء ثم ادعى انه المسيح الموعود والمهدي الموعود في وقت واحد كما يظهر من هذه الجمل المنقولة فانشأ رسالاته باللغة العربية الفصحى داعياً الى نفسه ومدعياً انها موحاة اليه . وامره واضح عند العرفاء

ويعكر الله والله خير الماكرين . فادخل الله سبحانه في لفظ
اليهود معشر علماء الاسلام الذين تشابه الامر عليهم كاليهود
وتشابهت القلوب والعادات والجذبات والكلمات من نوع
المكائد والبهتان والافتراءات وان تلك العلماء قد اثبتوا
هذا التشابه على النظارة بأقوالهم واعمالهم وانصرفهم
واعتسافهم وفرارهم من ديانة الاسلام ووصية خير الانام
صلى الله عليه وسلم وكونهم من المسرفين العادين وكنت اظن
بعد هذه التسمية ان المسيح الموعود خارج وما كنت اظن
انه انا حتى ظهر السر الخفي الذي اخفاه الله على كثير من
عباده ابتلاءاً من عنده وسماي ربي عيسى بن مريم في الهام
من عنده وقال يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك
من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا
الي يوم القيامة انا جعلناك عيسى بن مريم وانت مني بمنزلة
لايها المخلوق وانت مني بمنزلة توحيدى وتفريدى وانك
اليوم لدينا مكين امين . الخ .

الى من التحاكم في تفوق القرآن على معارضيه
يحكم التاريخ بصراحة وصرامة ان البلاء تركزوا في عصر

النبي ومصره فكانت ام القرى وما حولها كمبة طلاب الكمال ومحط
رجال الرجال وقد تضافرت وتظاهرت كتب المؤرخين
والمحدثين وآراء المتكلمين على ان موسى السليم (ع) بعث
الى بني اسرائيل في عصر ومصر كثر فيها السحرة والمهرة من
المشعوذين فكان هذا الكمال المزعوم في امة موسى اقوى
مالديهم في تسخير النفوس ولذلك جاء موسى مرسل من
ربه اليهم بمعجزات مناسبة لمالديهم ثم فاقت صناعتهم
واسقطت بضاعتهم حيث اتى عصاه فاذا هي ثعبان مبین
تأكل ما يافكون واخرج يده فاذا هي بيضاء تسر
الناظرين .

قالوا : وكانت الصناعة الغالبة في عهد عيسى فن الطب
وعلاج المرضى بالحكمة وكان هذا الكمال الباهر اقوى
سلاح فيهم لجذب القلوب وتسخير النفوس فجاءت معجزات
عيسى (ع) اشياء من هذا القبيل لکنها تفوقت على اعمال
معارضيه وبلغت الذروة العليا من الاعجاب والاعجاز فأبرأ
الأكمه والابرص واحیی الموتى و... و...

قالوا : كذلك الزمان الذي بعث فيه محمد من العرب كانت

الصنعة الراجحة الناجحة هي البلاغة والادب والتفوق في
الشعر والنثر والخطب وما هو من هذا القبيل فبعث الله المصطفى
بمعجزته الادبية « القرآنية » وهي من جنس ما لديهم
فسخرت النفوس وملكت القلوب وفاقت صناعات ذلك الزمان
والمكان بأسرها ودانت له الادباء والبلغاء في صناعة الانشاء
على القاعدة الجارية التي اختارها الله بحكمته في خليقته .

وقد مر على الادب العربي او البلاغة الالهية اربعة عشر
قرناً والناس يستشهدون باقوال رجال ذلك العصر والرعيل
الاول ويحتجون امام خصومهم بالمروى عنهم والمأثور من
شعرهم ونثرهم .

اذن من هم البارزون من أئمة اللسان والجميع الاساتذة
في صناعة البيان حتى نتحاكم اليهم ونختصم لديهم ؟
فاذا عجز اولئك الفحول عن مباراة الرسول فغيرهم
اولى بالعجز وصح آئذا ان الذي اعجزهم معجز حقاً واذا
اعترف اولئك الخيرة من اهل الخبرة بمزايا القرآن البارزة
وعبقريته الفذة ومنزلته الممتازة تم له الاعجاز والتفوق
على اقرانه بتفوق قرآنه سواء ادركنا نحن اليوم سر هذا

التفوق وسبب هذا الاعجاز اولم ندرك ، فان شهادة اهل
 الخبرة مقبولة لا ترد وقضاؤهم حكم حاسم . ولما اختلف
 سيبويه والسكسائي في المسألة الزنبورية قال هذا لارشيده :
 « العرب بياك فأسألكم » فدل على ان الترافع الى عرف اهل
 الخبرة وابناء اللسان امر طبيعي وغريزي في الانسان ، وبعد
 ان نعود القهقري الى تاريخ صدرنا الاول نجده قد سجل
 اعتراف اولئك الرجال والخبراء بتفوق القرآن وامتيازه عن
 كلام المخلوقين ، اولئك كالأعشى وليبد وحسان والوليد
 واكابر لا يحصون فلامراء في امره . وان سرت بنسا الى
 العهد العباسي وطبقة الشعراء المولدين وجدت ركوعاً وخنوعاً
 لا مزيد عليهما منهم للقرآن سواء من اوليائه او من اعدائه
 امثال ابي شاكر الديصاني وابن المقفع وابن ابي العوجاء
 وهكذا يتسلسل عجز الادباء وخضوع البلغاء جيلاً بعد جيل
 وقبيلاً اثر قبيل حتى عصرنا الحاضر ومشاهير ذوى الانشاء
 من كتاب وخطباء زينوا جيد هذا العصر بمنشورهم ومنظومهم
 سواء من ابناء الاسلام او سائر مذاهب الانام .

في افتتاح سور بحروف مقطعة

تفتحون المصحف الشريف فتجدون في أول صفحة
يسرى حروف (الم) بعد البسملة وهكذا في أوائل سور
بعدها وفي بعضها (ص) او (المص) او (كهيعص) او (ق)
او (حمسق) او . . . او . . . فتقفون حيارى حيال هذه
الحروف التي لا تفقهون معانيها وربما سألتهم العلماء او راجعتم
كتب التفسير لحل هذا المرموز وتفسير هذه الرموز
فتوافيكم اجوبة غير مقنعة تزيد الطين بلة وتزيد على العلة الف
علة لأن الدين في قلوبهم مرض ، مرض الجهل والغرض استغلوا
هذه الرموز لدعاية مذاهبهم وتفسيرها حسب اهوائهم
ومشاربهم وتمركز اشباه الباب والبهاء بأمثال هذه الحروف
لنهب اهواء البهائم وجلب اغنام الله وتضح لك هذه
الغامضة من الاطلاع على تفسير الشيخ الجنازدي في مستهل
سورة البقرة الأمر الذي دفعني الى الاهتمام بكشف النقاب
لانتقاد ذوي الالباب . نعم عندما يتساءل المستفهمون عن

وجه افتتاح سور هذه الحروف المفردة يتقدم اولاً جواب
 الاكثرية بانها رموز آلهية واسرار غيبية لا يعلمها الا هو
 وهذا الوجه المعروف بين طوائف المسلمين ، يضعه في
 مقدمة الايات المتشابهات وهو الذي دفع ائمة المذاهب الى
 التفلسف فيهن بينما لا يجد الباحث عنها شيئاً يروي غلته
 ويشفي علمته ثم يأتيهم جواب جماعة ثانية امثال السر السيد احمد
 الهندي في تحريره والاستاذ المفتي في تفسيره وبعض المحدثين
 وكثيرين من قبلهم ومن بعدهم ان هذه الحروف اسماء السور
 فتكون (الم) مبتدأ و (اذك) الكتاب (خر) ، مكن يقول زيد بذلك
 الجالس وجوابنا عنه ان اكثر السور ليست مستهلة بهذه
 الحروف والتي استهل بها قليل من كثير وكيف يكون علماً
 شخصياً لسورة بينما هو مشترك فالمستهل بـ (الم) عدة
 والمستهل بـ (الر) عدة و بـ (حم) عدة فيفوت الغرض من
 التسمية اذن فالرأي المختار بعد الاختبار هو المعقول المنقول
 عن الأجلة مقروناً بالأدلة واليك البيان .

الجواب الشارح لرموز اوائل السور

لقد ختمنا المحاضرة الاولى تحت عنوان مميزة القرآن بين

بتوجيه احرف افتح الله بها بعض السور وهناك اشارتنا
الواضحة موضحة لمقاصد القرآن من هذه الرموز ونعززها
الآن بالبيانات الآتية لغرض تنوير الأفكار .

ان القرآن مجموعة جمل ليست سوى صياغة اعرف عربية
من جنس كلمات العرب ومن يسير اعمال البشر وقد فاقت
مع ذلك عمق قرية . وكما كان العمل البشري ايسر صدوراً
واكثر وجوداً قل النبوغ فيه وصعب افتراض الاعجاز
والاعجاب منه فاذا اجمال القرآنية ليست سوى الحروف المتداولة
بين البشر فهي عبارة عن « الم » و « حمسق » فلماذا
صار تأليف جملة أو جمل منه مستحيل الصدور ؟ هذا ونجد
القرآن يكرر تحدي العرب وغير العرب باتيان شيء من
مقولة هذا السهل الممتنع كالطاهي يفاخر المتطاهي بانه يصنع
الحلوى اللذيذة من اشياء مبدولة لدى الجميع كالسمن واللوز
ودقيق الرز بينما المتطاهي لا يتمكن من ذلك مع استحضاره
الادوات وكذلك الكيماوي الماهر يستحضر المطلوب
المستجمع لصفات الكمال وغيره يعجز عنه مع حضور جميع
الادوات والاجزاء كذلك القرآن يقرع ويسمع قومه بان

اجزاء هذا المستحضر القرآني موفورة لديكم من ح وم ول
ور و ط وه . وانتم مع ذلك عاجزون . وهذا الرأي في توجيه
الحروف المقطعة في فوائح السور هو اختياري بمسند طول
اختباري للوجوه التي ذكرها العلماء والمفسرون قديماً
وحديثاً وقد ابلغها الامام الرازي فوق عشرين رأياً وابلغه
غيره الى اكثر لان هذا الوجه الوجه الذي اخترناه وجه لا غبار
عليه ولا يتطرق النقد اليه وهو المروي عن الامام الحسن بن
علي العسكري (ع) من اهل البيت النبوي (١) (ص)
واختار ذلك اكثر المحققين كمنبراس المفسرين ابي مسلم محمد
بن بحر وشيخ النجاشي قطرب محمد بن المستنير وشيخ ائمة

(١) جاء في تفسير البرهان ج ١ ص ٣٤ رواية الصدوق بن
بابويه بسنده الحسن عن الامام الحسن العسكري «ع» قال : «كذبت
قريش واليهود بالقرآن وقالوا هذا سحر مبين تقوله . فقال الله :
الم . ذلك الكتاب اي يا محمد هذا الكتاب الذي انزلته عليك هو
الحروف المقطعة التي منها الف لام ميم وهو بلفظكم وحروف هجاءكم
فاتوا بمثله ان كنتم صادقين واستمعينوا على ذلك بسائر شهدائكم
بيد انهم لا يقدرون عليه بقوله : لان اجتمعت الانس والجن على ان
ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله . الخ »

العلوم العربية ابو القاسم الزنجشیری مصنف « الكشف »
والفاضل الحسن النيسابوري المفسر وغيرهم .

من الشواهد على صحة هذا الدليل وصدق هذا التعليل انه
استهل هذه السورة (البقرة) المتضمنة لهذا التحدي والاحتجاج
في مفتتحها بالاحرف الثلاثة (الف لام ميم) فان الهمزة اول حروف
الحلق ومبدأ تقاطيع مخارج الصوت ثم اللام حرف من اوسط
المخارج . ثم الميم آخر مقاطيع الحروف على اقصى طرف
الشفيتين . ويفهم ان هذه حروفكم التي تبدأ من الهمزة من
اقصى الحلق وقصبة الرئة الى اواسطها وهي اللام في وسط
الفم الى آخرها وهي الميم التي تتولد في اطراف الشفتين هي
من اقصاها الى اقصاها ذلك الكتاب لا ريب فيه أي حروف
هذا الكلام لا اقل ولا اكثر فلو زعمتم انه تلفيق من
سفيرنا كبشر لا كرَسُول فأنتم بشر ان تعملوا مثيله
ولن تفعلوا ولو كان بعضكم لبعض ظهيرا .

ثم ان اللام الذي يتكرر في (الم) و (المر) و (الص)
هو من ابرز الحروف اللسانية ويشير الى أن اللسان من
أطوع اعضاء الانسان واسهلها حرا كما فلو كانت القضية

بشرية محضه ومن صياغة اللسان البشري وحياء كفة الفكر
البشري لكان البشر وحداناً وزيادات يستطيعون تأليف
كتاب وخطاب كالقرآن لسهولة تحريك السنتهم للأعراب
عما في افئدتهم ولكن هيهات هيهات أن يأتي بأمثال هذه
الآيات .

ان غرض القرآن في جميع آياته وسوره امران مهمان
لا ثالث لهما وهما الحجّة والمحجّة فقط فهو أي القرآن يريد
بيان المحجّة اي الطريقة التي تبلغ بسالكها الكمال الاسنى
في عيشته الحسنى (ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم) .
والامر الثاني المهم لديه بيان الحجّة القوية التي يعتمد
عليها في أثبات دعواه وتحقيق مدعاه وتصديق وحي الله
ليتم له من مجموع ذلك صحة المحجّة وصحة الحجّة ومن
اجل ذلك نجد القرآن يحدّد في شطر من آياته حول اثبات
صحة وحيه الالهي كما نجد يحدّد في شطره الآخر حول بيان
شريعته واصول طريقته لنيل الانسان السعادة والكمال .
وهذا اصل اصيل يبني عليه صرح الدين واهداف
القرآن المبين أعني بذلك الاصل صحة الحجّة والمحجّة .

فاذا عرفت ان القرآن يحصر هدفه بين الحجّة والحجة
 وان الهدف في وحي ربنا وسمي نبينا تصحيح الحجّة وتوضيح
 الحجّة ليس غير ، فاعلم ان الميزة لاثبات حجته انما هو بيان ان
 هذا الوحي المؤلف من الفاظ وحروف ومن أحكام ومعاني معجزة
 خالدة قد طالب الاتيان بمثله اياماً واعواماً . فلم يقدروا على
 الاتيان بمثله فضلاً عن ان يأتوا بأحسن منه بل تساهل
 واياهم بأتيان عشر سور بل تنازل الى الواحدة فلم يقدروا
 عليه حتى مع التقرير .

نعم صرح بذلك ولوح : ان كتابي مؤلف من كلمات
 وحروف هي حروفكم وكلماتكم التي تلهجون بمثلها صباحاً
 ومساءً آلاف المرات والمئات ، الف لام ميم ذلك الكتاب
 لا ريب في انه من جنس حروفكم ثم قال بعيد ذلك
 وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا وزعمتم انه ليس من
 عندنا بل من عند نفسه كبشر لا كرسول فأتوا أيها العرب
 بسورة من مثله واستعينوا بشركائكم وشهداءكم فان
 عجزتم عن اتيان مثله ولا بد أن تعجزوا ولن تفعلوا فأعرفوه
 وحيّاً الهياً حقاً . . وأعرفوه سفيراً من ربكم صدقاً . .
 وأعرفوه مرشداً مخلصاً ونبيّاً مصلحاً . .

تتمة الشواهد على ما ادعينا

ذهبنا وكثيرون من أهل العلم الى ان الحروف المفردة في
أوائل بعض السور ذكرت كنماذج من أحسن الفاظ العرب
تأكيداً للتحدي وتقريع المعارضين كي يأنوا بمثله والدليل على
ذلك اشتغالها على نصف حروف التهجى (الف باء) أي أربعة
عشر حرفاً جمعت في جملة (صراط علي حق نمسكه) وفيهن
نصف المستعملة كما استدل بذلك العلامة الزنجشيري في
كشافه قائلاً

« وأعلم انك اذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه في
الفواتح من هذه الاسماء وجدتها نصف أسامي حروف المعجم
أربعة عشر وهي الألف واللام والميم والصاد والراء
والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف
والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم
اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على النصف
اجناس الحروف بيان ذلك: أن فيهما من المهموسة نصفها الصاد
والكاف والهاء والياء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الألف
واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والباء والياء والنون

ومن الشديدة نصفها الألف والكاف والطاء والقاف ومن
الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين
والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والكاف
ومن المنفتحة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء
والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية
نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الألف
واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين
والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم اذا
استقرت الكلام وتراكيبها رأيت الحروف التي انشأ الله ذكرها
من هذه الاجناس المعدودة مكثورة بالمدكورة . منها فسبحان
الذي دقت في كل شيء حكمته . وقد علمت ان معظم الشيء
وجمله ينزل منزلة كله وهو المطابق لطائفة التنزيـل
واختصاصاته فكأن الله عز اسمه عدد على العرب الألفاظ التي
منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبيكيت لهم
والزام الحجة اياهم . الخ »

وسر اختيار نصف صفات الحروف هو الدلالة
على ان حروفها نصف الأصل اي اربعة عشر (فان قلت)

لماذا اختار ربنا نصف حروف الألف باء . والحالة ان القرآن
 حواها بأسرها - قلت - هذا سر طواه الله الفاء وقرروا وانا
 الآن أفشيهِ لكم بأذنه . وموجزه ان القرآن يدور محوره
 حول نقطتين هما الحجة والمحجة كما شرحناه في ص ٢٥٨
 فقسم الحجة نصف الغرض فيجذف الله نصف الحروف وانصاف
 اوصافها وان شئت قلت ان القرآن اسم لمجموع اللفظ
 والمعنى ، والعجز انما هو حول المعنى دون الفاظ مسموعة
 وحروف مقطوعة وذلك على مذهبنا من كون الجذبات
 الروحية هي السر في الاعجاز القرآني فإشار الى ان النصف
 المجموع من المعجز هو معاني المجموع لغرض التحيدي وهدف
 الغرض في الاعجاز، وهنا وجه آخر احتمله سرراً للانصاف
 وهو ان الحروف الهجائية في اشكالها نوعان نوع مزدوج
 ونوع منفرد فأثبت الفرد من ذوات الاشكال المتشابهة
 كالنون دون نظيراتها كالباء وغيرها واثبت الحاء دون نظائره
 ثم الراء دون مشاكلاتها ثم السين دون نظيره ثم الطاء دون
 نظيره اعني الشين ثم الصاد دون نظيره ثم الطاء دون النظرير
 ثم العين دون نظيرتها ثم القاف دون المشاكل وهكذا تأمل جداً .

تعليق على ملاحظات الكشف

لقد اتضح الهدف الحقيقي لهذا القرآن وانقسامه الى
غرضين مهمين بيان الحجّة وإثبات الحجّة في رسالة هذا
المصلح الأعظم (ص) .. فعلى اثر انقسام الهدف نصفين
تنقسم بطبيعة الحال كلية الوسائل والاسباب الموصلتين الى
الغرضين نصفين ايضاً فالنصف المتعلق بأثبات الحجّة هو
القسم الاساسي الذي ينتمى القرآن الحكيم عن اهتمامه العظيم
بشأنه كمعجزة ولوبصوره موجزة فيشرحها سواء أكانت آية أو
جزء من آية ويصدر بها السورة قبل كل آية وقبل أي حرف من
الآية لذلك قد أخذ هذا النصف الى جانبه نصف الأحرف
الهجائية أي الاربعة عشر التي عددناها أخذها على وجه
المناسبة كما وكيفاً كما كشف عنها الغطاء صاحب الكشف
وابدع فيها وفي أوصافها من فن تجويد القرآن صفة صفة
من حيث الكمية والكيفية .

واضفنا الى هذا الوجه الوجه الوافي لغرض التوجيه
وجهين آخرين هما بالدرجة الثانية والثالثة في الاقتناع
والاقتناع .

المتشابهات القرآنية خزانة المعجزات

قال سبحانه (هو الذي انزل عليك الكتاب فيه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا . . الخ)
 ٣ : ٥٠ تضاربت الآراء في تفسير المحكم والمتشابه فذهت فيهما كل مذهب وأشهرها عند العلماء هو الذي قرره العلامة شيخ الاسلام بهاء الدين العاملي المتوفى سنة ١٠٣٦ هـ . في «زبدة الاصول» قال : اللفظ إن لم يحتمل غير الظاهر منه فنص وإن احتمل فالراجح هو الظاهر والمرجوح هو المؤول وإن تساويا فشكوك والاولان المحكم والاخيران المتشابه . الخ
 إذن فالمحكم ما يفهم تعيين المراد من لفظه وخلافه المتشابه الذي لا يتعين فهم المراد منه الا بمجموعة الشواهد .

ومن المجمع عليه الذي لا ريب فيه ان القرآن المجيد مشتمل على آيات محكمات كآية (الحمد لله رب العالمين) وعلى

آيات متشابهات كقوله (الرحمن على العرش استوى) .
فالعرش فيها مفسر بمعان كما الاستواء له معان .
وتجد المسلمين من امثال هذه المتشابهات انقسموا
اشتاتاً وفرقاً ومذاهب فالآيات المتشابهات اذا قربت قراءها من
التفرق والشتات صار الدين في قلوبهم مرض يبتغون الفتنة
ويستغلون الفرصة لتفريق المسلمين ، وترويج آرائهم وأهوائهم
فيهم . فيحق الحكم والحالة هذه ان تتساءلوا عن الحكمة التي
ادخلت مثل هذه المتشابهات في آيات الذكر الحكيم .
نما هدف القرآن جمع الكلمة ولم شتات الأمة وهداية القراء
إلى الحق الذي لا ريب فيه وتنوير البصائر بالحقائق المتمحصة
عن الشكوك والشبهات .

والجواب عن ذلك كله في تفصيل الحكمة العالية في
هذا النوع من آيات الذكر وان الحكمة في وجود المتشابهات
لو لم تكن اجل وانفع من وجود المحكمات فليست بأقل .
واليك تفصيل هذه الحكمة العالية والفوائد الغالية التي تنفع
منها بذكر عشرة :

١ - إن القرآن سفر هداية عامة لجميع اجيال البشر

وينبوع علم خالد مادام الانسان والا كوان، فأن اقتصر فيه على المحكمات الواضحة لم ينطو الكتاب على تجديد فيكري وتطور نظري والقرآن غرض طري في كل عصر وعصر ليستطرفة ابناء كل جيل وقبيل وما ذلك الا بفضل متشابهاته وتشبيهاته ومجازاته واستعاراته وكنائياته وتفنناته .

٢ - لأهل العصور في مختلف الدهور اذواق متلونه وانظار متفننه وهذا الاختلاف الطبيعي لا يستقيم مع المحكمات وانما يبقى محفوظا وملحوظا في المتشابهات .

٣ - ان اسرار العلوم تتجلى على اوجه التدريج حسب تدرج الحضارة وارتقاء البشر دوراً فدوراً وطوراً فطوراً وضروري للقرآن الخالد ان يمشي مع البشر حسب تدرج عامه وتلون حضارته والا فان تلكاً يصطدم السير في جيل واحد بتجدد الأذواق ونفرة طباع اهل ذاك الجيل ويسقط عن المستوى الرفيع، والساقط لا يعود فان اقتصر على المحكمات في عصر النزول عجز عن ان يحافظ لنفسه المزية المطلوبة في بقية العصور اما المتشابهات ففي وسعها المحافظة على المطلوب .

٤ - ان العلوم التي كانت معروفة في عصر النبوة ومصرها هي على اختلاف عظيم مع العلوم التي في القرون الوسطى كما هي على اختلاف عظيم مع العلوم العصرية فلو كان القرآن يصرح بالتحرك للارض مثلاً كآية محكمة لرماه الناس في عصر النبي ومصره بالجهالة ومناقضة الحس والعقل فلم يك يؤمن به واحد من الناس قط كما انه لو كان مصرحاً بسكون الأرض على وجه محكم لا يتداخله الشك لكان اهل عصرنا يذتقضون على القرآن ويتمونه بمخالفة الفن الحكيم مكان القرآن في جموده على المحكم إما خسرأ لايمان اهل ذلك العصر واما خاسر الايمان هذا العصر به بخلاف ما لو سلك سبيل الأجمال في التشابهات كقوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرر السحاب وجعل لكم الأرض مهداً) الى غير ذلك من الآيات المتشابهات تشير الى حركة الأرض من طرف خفي فأذن ذلك وجه متوسط يلائم ذوق العامة في عصره كما يلائم ذوق الخاصة في هذا العصر ويصبح كتاباً محبوباً في كافة العصور .

٥ - ان القرآن معجزة الاسلام الباقية ببقاء الدهور والبشر فلا بد من اشتماله على المعجزات العلمية والأسرار

الغيبية لأبناء كل جيل وقبيل فيقرأون في خلال آياته بيان
مسكونية السموات والأرض وما بث فيها من دابة
فلولم تنزل هذا الحكمة المحكمه بزي المتشابهات لصرخ
المنافقون بالناس واثاروا الغوغاء على النبي (ص)
بانه مجنون يزعم بوجود البغال والحمير في السموات العلى .

٦ - ان هذا القرآن الذي يتحدث فصحاء العرب والعجم
وبلغاء الأمم بأنه معجز لا يبارى لا بد وان يستكثر في آياته
المجازات والاستعارات والكنائيات والمحاسن البديعية صيانة
لروعة إيجازه واعجازه فتتقلب الى المتشابهات بالطبع .

٧ - ان القرآن كتاب اممي ومعلم عالمي له تلاميذ من
كل جيل وقبيل وله قراء في كل زمان ومكان فهو مربى
عقول متنوعة ومغذي اذواق مختلفة وساقى حقول متفوفة
فلا بد له ان يعتمد لكل صنف طعاماً ولكل صف كلاماً ولكل
عقل علوماً وغذاء ولكل حقل رواية وسقاية مراعيّاً
خصوصيات الاتباع والطباع حسب الأوقات والبقاع فمن
الضروري له ان يدخر من شتى العلوم والمعارف وصنوف
الافكار والخواطر كهيدلي في مركز العاصمة او دائرة

تموين للحكومة والامة يغلف كثير آ من العقاقير لوقت ما
ويخزن كثير آ من الحبوب لضرف ما ويحفظ في العلب ادوية
لمريض ما وهذا الواجب الضروري لا يتحتم للقرآن الا اذا
صار لفظه حمالا ذا وجوه كما وصف الامام علي (ع) القرآن بأنه
جمال ذو وجوه وهذا هو معنى المتشابه والمجمل فعلم الاجمال
كما علمنا ان الاجمال جمال في القرآن .

٨ - أن الاحاديث تواترت في ان القرآن يشتمل على
كثير من الآيات المحتاجة الى تفاسير الأئمة من اهل البيت
النبوي (ع) حتى يتولى كل امام تفسير آية بما يناسب عصره ومصره
اذن فالقرآن خالد للاجيال كالامام وهو امي علمي عالمي
وكذا الأئمة علماء عالميون والأسلام دين علمي امي
خالد والكل سائر مع اطوار البشرية .

٩ - ان الأمم لا بد ان تدين بالأسلام في كل مكان
وزمان ومن اى لسان وعليها ان تتعلم القرآن وهذا التعلم
يختلف حسب اختلاف المترجمين والمفسرين ودرجات علومهم
وحاومهم ومعارف اعصارهم وامصارهم ويتلون تفسير القرآن
من جميع ذلك قرب آية محكمة عند قوم بينما هي متشابهة عند

آخرين وبالعكس كآية اقصى الجمل عند الحنفية والشيعة
ورب آية محكمة في عصر هي متشابهة في عصور اخرى
كآية (وترى الجبال تحسبها جامدة) الخ . فأنها محكمة
في عصرنا بين ما كانت متشابهة ألفا وقروناً .

١٠ - ان الناس امام قراءة القرآن او استماعه
طبقات ثلاث : -

فالأولى - هي التي تعجبها فصاحته وبلاغته وحكمة
اسلوبه واسرار معانيه وبديع بيانه وهؤلاء هم العرب الاقحاح
الذين كانوا في صدر الاسلام وحواليه في حواضر الحجاز
ونحوها فهؤلاء مجذوبون من تلاوة القرآن لا يحتاجون في
ايمانهم لأي شيء آخر غير نفس القرآن .

الطبقة الثانية - اقوام يهتدون الى القرآن بجذباته
الروحية وتجرحهم اليه حبائل ادبية معنوية حسب ما شرحناه
في المحاضرة السابعة .

الطبقة الثالثة - اقوام غير مستعدين لجذباته الروحية
وتأثيراته المعنوية كما أنهم محرومون ايضاً مما فاز به الأوائل
واقوام الطبقة الأولى فهؤلاء يحتاجون في هدايتهم وجذب

القرآن لهم الى وسائل اخرى غير مزايا الفصاحة واسرار
 البلاغة وغير دلائل اعجاز القرآن من نواحي اللفظ والسبك
 والأسلوب وهذا الذي دعى صاحب الوحي القرآني الى
 تضمينه لأنباء الغيوب واسرار العلوم الخفية في كائنات
 الأرض وكائنات السماء وغامضات المجتمع ومبهات التاريخ
 غابره وحاضره وهذه المزايا يصير القرآن معجزة الدهور
 وحجة مقبولة لدى اكثريّة البشر والطبقة المفتقرة لهذه
 المزايا اكثر واكثر واكثر واندماج هذه المزايا في القرآن
 يجعله طبعاً كتاباً متشابهاً وضروري اذن ان يكون متشابهاً .
 وهذه الوجوه العشرة اوجه مقبولة معقولة وان لم
 يسبقني اليها احد فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
 لولا ان هدانا الله .



نرجو من حضرات القراء ابداء ملاحظاتهم لنا حول هذا
 الكتاب ولهم الشكر سلفاً .

الى المشترك الكريم

لقد سارت هذه السلسلة في اشهرها الثمانية المنصرمة
سيراً أرجو ان يكون قد حاز رضا القاريء الكريم .
ولا اشك بأن القاريء يشعر معي بأن مثل هذا العمل
لا يمكن ان يستمر في سيره المنتظم دون المؤازرة . وانا اذ
نشكر المشتركين الكرام على تشجيعهم في الاقبال على طلب
هذه السلسلة نرجوهم التفضل بتسديد بدلات الاشتراك
لنتمكن من الاستمرار في السير ولهم الشكر على ذلك .
ترسل بدلات الاشتراك حواله بريدية او بأي طريق
آخر يضمن وصولها بالعنوان التالي :
العراق - السكاظمية : عبد الامير السبيعي .

حزب الشهر

سلسلة تربط بين الماضي والحاضر و ج بين القديم والحديث .
كتب شهرية تعالج شتى المواضيع بأقلام حرة تمثل الأدب الحي
الرفيع والرأي المجرد الحر .

يصدرها

عبد الأمير السبيعي

باشراف

جماعة من أعلام المفكرين

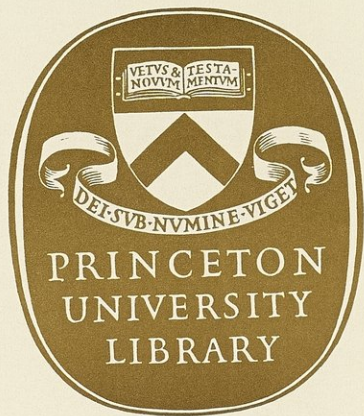
الثن : ٨٠ فلساً في العراق

١٠٠ هـ أو ما يعادلها في الخارج

جميع المراجعات مع

عبد الأمير السبيعي - الكاظمية

مطبعة النجاح - بغداد



Princeton University Library



32101 064950767